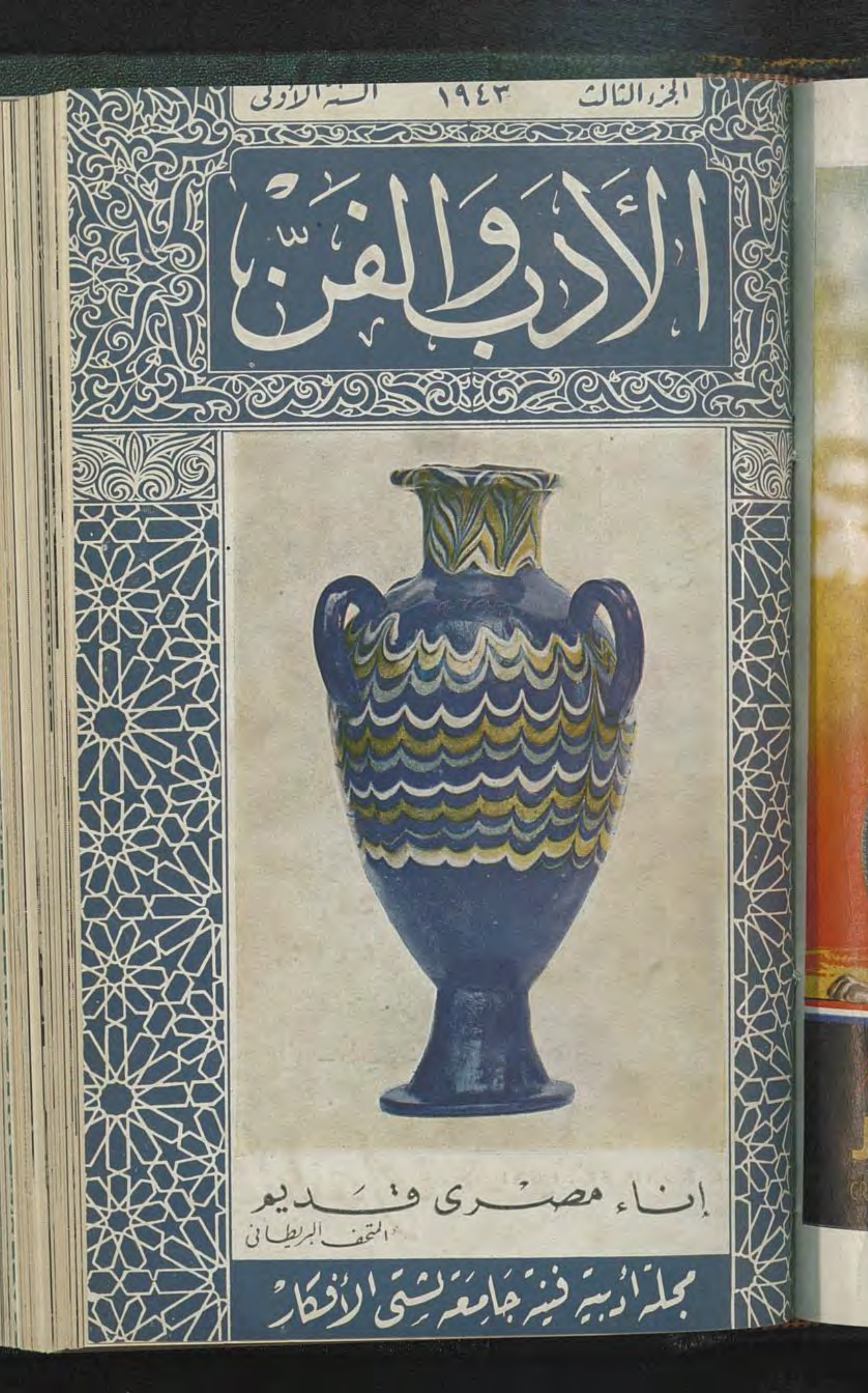
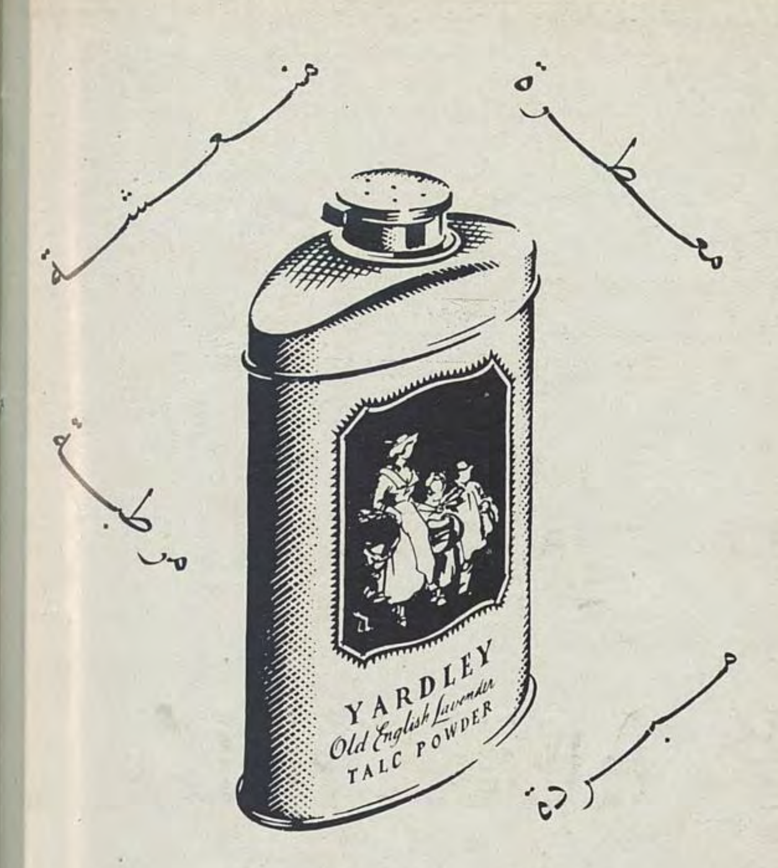

الجزء الثالث ١٩٤٣ السنة الأولى
الأدب والفن
إناء مصرى قديم
المتحف البريطانى
مجلة أدبية فنية جامعة لشتى الأفكار



بودرة التك ياردلي نــاعمة مرطبة

تعطيك شعورا طيبا بالرفاهية

وتجعلك تحس بالراحة طوال النهار.

وشذى عطر اللافندر المحبوب

دائما مستطاب ومنعش مقبول اينما تذهب.

33 OLD BOND ST. LONDON *Yardley*

عندما كان دارا ، وهو من عظماء الملوك فى التاريخ ، يخرج للصيد كان يستعمل عربات ذات عجلات شبيهة بالعجلات المستعملة اليوم الى حد كبير. ومع ذلك فقد احتاج الامر الى مرور الفى عام قبل ان تغدو العربات ذات العجلات وسيلة للنقل سريعة آمنة ومريحة وذلك عن طريق الانقلاب الحاصل باضافة اطارات دانلوب المنفوخة بالهواء.





اطارات دانلوب

ذات الانياب التى تنشب فى الارض

DUNLOP RUBBER Co. Ltd., FORT DUNLOP, BIRMINGHAM.

الأدب والفن

المحتويات

يسر ادارة التحرير ان يوافيها القراء بمقالات لنشرها. وقرار هيئة التحرير فيما يتعلق بقبول هذه المقالات قرار نهائى. وستعاد المقالات لاصحابها فى حالة ما اذا قاموا مقدما بدفع تكاليف البريد. وعنوان رئيس التحرير :—

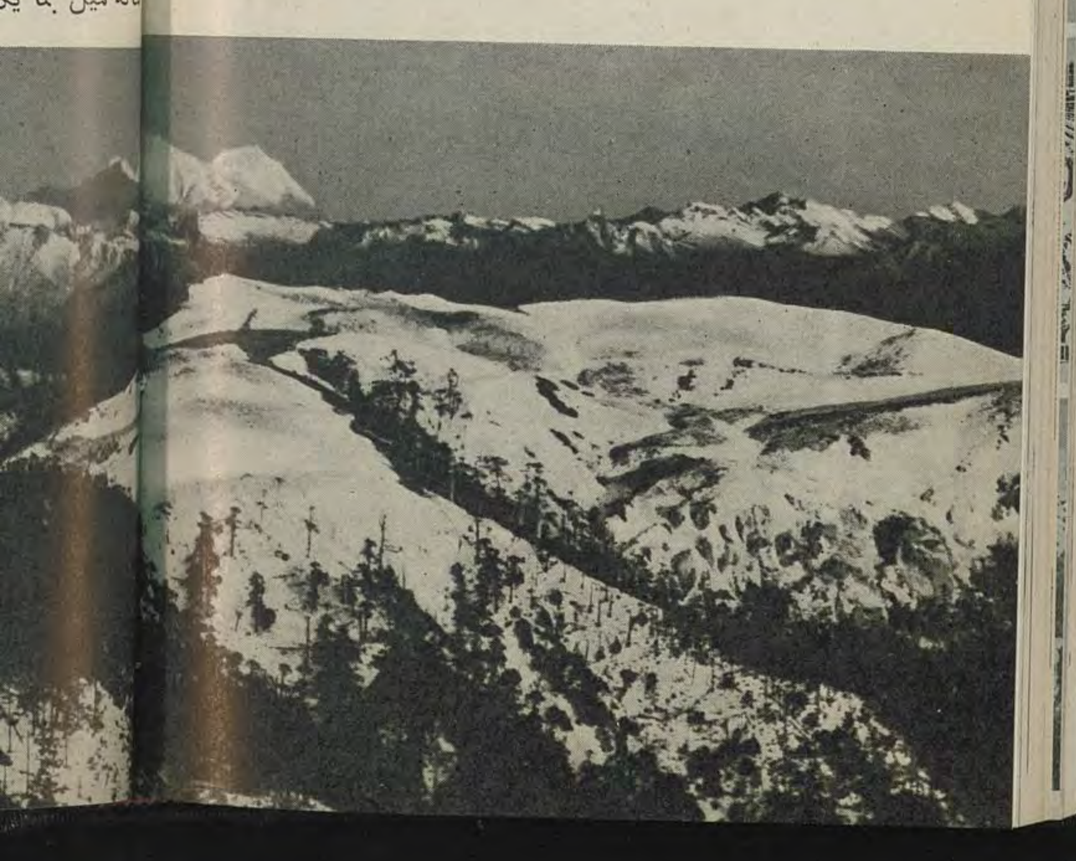
The Editor "Literature & Art"
c/o Hodder & Stoughton Limited, London.

رحلة لم تتم

بقلم ستابلتون ترويل

كانت منطقة اواسط اسيا الواسعة الممتدة من التبت الغامضة الى سهول بامير ومن حدود الهند الى اراضى سيبيريا الشاسعة القارصة البرد قبل مائة عام تقريبا عبارة عن مساحة قد حددت على جميع الخرط بخطوط غامضة غير واضحة استنتجت من معلومات قليلة مبعثرة . وفى عام ١٨٥٢ بدأت ادارة المساحة بالهند تمسح سلسلة جبال الهملايا مبتدئة من السهول الهندية . وقد حدث فى اثناء هذه الاعمال المساحية حادثة كان من نتائجها فتح باب جديد من علم الجغرافيا .

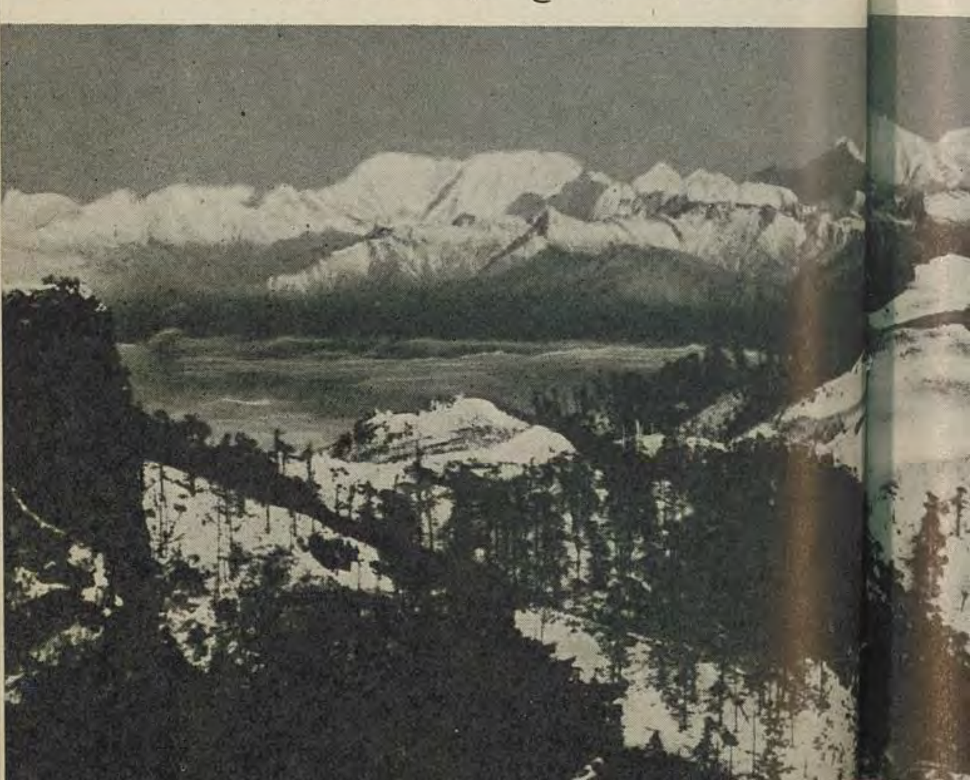
ذلك ان احد المساعدين الهنود الذى كان يقوم بفحص دقيق لبعض



نتائج المساحة دخل مكتب احد المشرفين على تقدير العمل وصاح قائلا «سيدى، لقد اكتشفت اعلى جبل فى العالم» وقد كان الجبل مشارا اليه ب(قمة ١٥) واعطى اسم افريست تكريما لاسم السير جورج افريست احد رؤساء المساحة السابقين. اكتشف جبل افريست وحدد وقدر ارتفاعه حينئذ تقديرا خاطئا بنحو ٢٩١٤٥ قدم ولكنه عدل فيما بعد الى ٢٩٠٠٢ قدم اى نحو ستة اميال تقريبا.

ولم يلبث بعد ذلك ان تساءل الجميع عما اذا كان من الممكن تسلقه. ولم يكن هناك عجز فى عدد المتسلقين الذين قد يرغبون الاجابة على هذا السؤال ويحاولون تحقيق هذه المحاولة. كما انه كان هناك الى جانب الرغبة فى النصر الحقيقة التى كانت معروفة عن حرمة تلك البلاد والحواجز السياسية والتقليدية التى احاط بها تلك المنطقة رجال السلطة فى نبال

سلسلة جبال هملايا كما ترى من دارجيلنج. ويرى جبل افرست بوضوح على بعد مائة ميل بما يكلل رأسه من الثلج تكليلا خاصا متميزا.





بعثة جبل افرست سنة ١٩٢٤ . الواقفون من اليمين إلى اليسار: المستر مكدونلد، المستر أوديل، الكولونيل نورتون، المستر مالورى، المستر ارفين. الجالسون من اليمين إلى ليسار : المستر بيتهام، الدكتور سمرفيل، الكابتن بروس، المستر شلبير.

والتبت . ولما كان الانسان بطبيعة الحال يكره الفشل الذى يكفى وحده لان يدفع به الى اعلى درجات الرغبة فقد بدأ هذا الجبل يؤثر اثرا غريبا لا يمحى فى عقول وخيال جميع المغامرين .

والهملايا التى تمتد على طول حدود الهند الشمالية فى شكل قوس طوله ١٦٠٠ ميل وعلى عرض يبلغ نحو ٢٠٠ ميل هى عبارة عن سلسلة لا تنتهى من الجبال تعمم قممها الثلوج . ومنظر هذه السلسلة بما فيها من كتل ثلجية وممرات عميقة وريح عاصفة وكل ذلك متجمع متقارب لمنظر متعرج يثير دهشة وروعة لا تنسى . فليس هناك جبال فى مثل هذا العبوس وهى مع ذلك جميلة وفتنة مثل جمال الهملايا . لقد حفظت اسرارها بحواجز من الصخر والجليد وزودت بأسلحة من الريح العاصفة والثلاجات المنهمرة المدمرة مما يجعلها اشبه بأحد حصون الطبيعة القوية ويجعل من قوتها القاهرة حافزا للرجال يدعوهم الى محاولة الجهود النبيلة فى الغزو والاستكشاف .

وكان الاذن لتسلق هذه الجبال صعب الحصول عليه ولكن فى عام ١٩٢١ وافقت سلطات التبت وقامت اول بعثة استكشافية لقمة افريست وعلى رأسها الليفتينانت كولونيل هوارد بيورى بأمل تسلق هذا الجبل. وقد خرجت البعثة من دارجيلينج متجهة بدورة الى الشرق بين جبال كانجشينجونجا وشومولهارى الى التبت ثم اتجهت محاولة ان تصل افريست من الشمال. وكان من المستحيل عليهم ان يسلكوا طريقا مباشرا اذ ان ذلك يقتضى دخول اراضى نبال المحرمة. وبعد رحلة استغرقت بضعة اسابيع وصلت البعثة الى دير خامبا دزونج من اديرة التبت. وكان هذا الدير بمثابة ملجأ لجميع البعثات الاستكشافية لقمة افريست ولكن حلت فيه الكارثة بأول بعثة اذ ان الدكتور كيلاس المستكشف المعروف الذى كان درس سلسلة جبال الهملايا لعدة سنين توفى. ولا شك ان الدكتور كيلاس لولا ان الحرب الماضية الكبرى منعته لحاول قبل ذلك ان يكتشف افريست، كما ان فى وسعه ان يقدم اعظم المساعدات التى لا تقدر لزملائه من المستكشفين المخاطرين بمعلوماته الدقيقة ومجموعة الصور العجيبة التى اخذها بنفسه لافريست حينما كان يقضى اجازاته متنقلا بين جبال الهملايا.

وقد حدث بعد ذلك ان اثنين من المتسلقين الباقين اصيبا بمرض ولم يبق بعد ذلك الا اثنان آخران هما مالورى وبولوك وكلاهما حديث الخبرة على جبال الهملايا. وقد استنفذ وقت طويل فى ارتياد قاعدة الجبل لايجاد احسن الطرق الموصلة الى القمة. وكانت اول محاولة لهما عن طريق ثلاجة رونجبوك. وقد تزايدت صعوبات التسلق كلما تقدما وتعطل تقدمهما بسبب طبيعة الهواء الغريبة التى تدعو الى حالة خمود جسمى وعقلى ومن تلك الثلاجة ارتادا جوانب الجبل ولكنهما لم يجدا طريقا حتى لاحت لهما بارقة امل اذ شاهدا من قمة ثانوية «رقبة» من الثلج (وهى قطعة من الصخر على شكل رقبة مغطاة بالجليد اصبحت الآن تعرف باسم الرقبة الشمالية) وكانت تربط الكتف الشمالى الشرقى لافريست

مع القمة الشمالية وبذلك اصبح الطريق الى القمة مكشوفا امامهما .

وقد استغرقت هذه الاستكشافات خمسة اسابيع وعند عودة الجماعة الى قاعدتها فى «خارطا» كان كلهم فى اشد الحاجة الى الراحة التى استحقوها عن جدارة لاسترداد قواهم المفقودة وصحتهم المضمحلة .

ولم يلبثوا ان عادوا وتابعوا استكشافهم . وعلى ارتفاع ٢٢٠٠٠ قدم اقاموا خيمتهم وقضوا الليلة كأحسن ما يمكن ان تقضى فى ريح عاصفة قارصة . ومن هذه النقطة بدأ تسلقهم الى الرقبة يتسلقون باحتياط وحذر ويتلمسون موقع اقدامهم فى الثلوج قبل ان يتقدموا خطوة اخرى . ولما ادركوا الرقبة وجدوا ان سطح حافة الجبل ليس بالخطر ولا بالعمودى الانحدار . ولكنهم ذاقوا نصيبهم من الرياح الداوية والزوابع الثلجية العاصفة التى قاساها كل من مر بهذا المكان . ثم اضطرتهم رياح الموسم الى العودة . ومع ذلك فلهم الفضل بان كانوا اول جماعة حاولت ارتياد الجبل . وبذلك تم استكشاف احسن الطرق للوصول الى الجبل واختبرت النقطة الضعيفة الواحدة لذلك الحصن الطبيعى وفوق ذلك مسحت آلاف الاميال ورسمت على خرائط .

وبعد عام قامت بعثة استكشافية اخرى قد تزود بعض اعضائها بأنابيب الاوكسجين وذلك لمقاومة قلة الهواء التى تشاهد فى الارتفاعات العليا . وكانت البعثة فى هذه المرة مكونة من مالورى ونورتون وسومرفيل وموززهيد وفينش وكانوا جميعا من المشهورين بتسلق الجبال وكانت الخطة التى رسمتها هذه البعثة لنفسها ان تقيم سلسلة من المستودعات على جانب الجبل لغاية ارتفاع ٢٧٠٠٠ قدم ومنها يتقدموا ويقوموا بجولة سريعة الى القمة لانهم ادركوا انهم لن يستطيعوا ان يقضوا مدة طويلة هناك . وقد تم عملهم بنجاح فأقاموا المستودع الاول على ارتفاع ١٧٨٠٠ قدم ثم الثانى على ارتفاع ١٩٨٠٠ قدم على التعاقب ثم اقاموا المستودع الثالث وهو آخر المستودعات الاولى بالقرب من الطرف المنحدر للرقبة الشمالية . ومن الغريب ان هؤلاء المتسلقين الشجعان بينما يتلمسون





: منظر جبل افرست كما يرى من ثلاجة خارتا . ويرى اكليل الثلج ذو
بكل الخاص بكل وضوح . أسفل : المنظر الشرقى من على ارتفاع ٢٧٠٠٠
تقريبا فوق مستوى سطح البحر . والقمة الأسطوانية فى الوسط هى خارتزا
سلسلة التى تلوح عن بعد هى سلسلة نيونا رى فى التبت .



الحمالون فى المستودع الخامس يشرفون على ثلاجة رونجبوك الشرقية .

طريقهم وجدوا آثار الحياة اذ عثروا على العنكبوت واكوام الهوام وهى متجمعة فى حالة غيبوبة ونوم طوال فصل الشتاء الطويل وذلك على ارتفاع ٢٢٠٠٠ قدم . وفوق المستودع الثالث عثروا على غرابين عششا وافرخا الى جانب قطعة من الثلج . ومثل هذه الحادثة من عجائب المخلوقات مما يجعل الانسان يتساءل عما الجأ هذه الحشرات والطيور الى الابتعاد لمثل ذلك الحد عن الاماكن السهلة، وعن رزقها ومأكلها التافه الذى تحتفظ به حياتها .

وبعد ان تركوا المستودع الثالث بدأ التسلق الحقيقى ولما اخذت الجماعة فى رحلتها بدأت السحب المنذرة بالسوء تتلبد وأصبح من المؤكد ان الجو سيسوء فى القريب العاجل واصبحت المسألة صراعا مع الزمن . فأقيم المستودع الرابع وعندما خرج مالورى وسومرفيل ونورتون مع تسعة من الحمالين لاقامة المستودع الخامس كانت الشمس مضيئة والهواء عليلا ولكن عندما تسلقوا الى الاعلى بدأ البرد يشتد واصبح لاذعا واضطروا الى ان يرتدوا ملابس اكثر . وقد اقيم المستودع الخامس على بعد

٢٥٠٠٠ قدم، وفى اليوم التالى استيقظ الجميع فوجدوا ان الجبل قد احاطت به غيوم متكاثفة واصبح التنفس صعبا وبطؤ تقدمهم للغاية الى حد لا يساعدهم الى ادراك القمة . وعندما كانوا على ارتفاع ٢٦٩٨٥ قدم تحت الكتف الشمالى الشرقى بقليل اضطروا الى الوقوف واتفقوا على انهم لا يستطيعون التقدم بعد ذلك وقفلوا راجعين .

وبعد اربعة ايام من عودة الجماعة الاولى خرج فينش وبروس وهما مزودان بامدادات الاوكسجين . وكانت التجارب التى مرت بهما اشد قسوة مما مر بزملائهما لان الريح والثلوج كانت من القسوة بحيث انهما لم يستطيعا ان يبقيا خارج الخيمة اكثر من بضع دقائق . وكانا يميلان الى العودة ولكنهما ترددا فى ذلك ثم قررا الانتظار حتى تهدأ العاصفة فهدأت بعد يومين الى حد مكنهما من مواصلة الرحلة . وقد استمرا فى التسلق ببطء رغم ما اصابهما من تعب وجوع غير ان خادمهما تجبير الذى كان يحمل انابيب الاوكسجين خارت قواه واضطر الى العودة الى المستودع الخامس . واستمر المتسلقان حتى لاحظ بروس فجأة ان جهاز الاوكسجين الخاص به قد تعطل وكان على وشك الهلاك . ولكن فينش قاسمه اوكسجينه الى ان امكن اصلاح الجهاز . وكذلك وصلا الى ارتفاع ٢٧٣٠٠ قدم ولكنهما اضطرا بعد ذلك الى العودة .

وقصدت البعثة محاولة اخرى بامدادات الاوكسجين ولكنها لاقت الفشل بسبب كارثة مريعة ذلك ان مالورى وسومرفيل ومتسلقا آخر اسمه كروفورد كانوا يعدون طريقا لحماليهم الأربعة عشر عندما انهار الجليد والثلوج المتجمعة بدون انذار سابق وجرف تسعة حمالين فقد سبعة منهم ارواحهم .

وبعد عام حاول كل من نورتون وسومرفيل الوصول الى القمة محاولة اخرى ووصلا الى ارتفاع ٢٧٠٠٠ قدم واستمرا مع ذلك يحاولان التقدم الى الامام بكل شجاعة . وعلى مثل ذلك الارتفاع اخذا يستريحان من وقت لآخر واشتد خفقان قلبيهما وصعب تنفسهما وطالت فترة الاستراحة

بعد مدة واخيرا عدل سومرفيل واستمر نورتون برجاء من سومرفيل فظل يكافح ويدفع طريقه وهو يرتعش كأن عنده حمى وتصلبت شفتاه ولصقت الثلوج بملابسه وغاص فيها بأحذيته واصبحت كل خطوة منه تستلزم عناء شديدا واحس كما لو كانت رئتاه على وشك الانفجار. فوقف منحنيا على الفأس التى كان يحطم بها الجليد وقد خفض رأسه امام الزوبعة ولكنه مع ذلك استطاع ان يستمر فى تقدمه بعد عناء شديد ولم يلبث ان اضطربت حواسه واختلت مداركه وكثيرا ما كانت تبدو له القمة قريبة كالسراب الخادع . وأخيرا اشتدت به الاخيلة وتوترت إعصابه ثم نظر الى ساعته وادرك بحزن انه لن يستطيع الصعود والعودة من القمة من يومه وبذلك اضطر الى العدول عن رحلته . وكان هذا الفشل المجيد اول محاولات عام ١٩٢٤ الاستكشافية لهذا الجبل . وكان من بين اعضاء هذه البعثة اثنان كانا سيلعبان دورا هاما فى المحاولات التى تلتها هما اوديل وايرفن.

وتكونت بعثة اخرى قابلها جبل افريست بنفس طريقته الخاصة بالترحيب اذ انها عندما ادركت القاعدة لم يكد رجالها يقيمون المعسكر حتى هبت زوبعة ثلجية عاصفة واستغرقت اقامة المستودعات لغاية اسفل الرقبة الشمالية اسبوعين فى ظروف شديدة القسوة وازدادت حالة الجو سوءا وضعفت قوى رجال البعثة الى حد كاد يلحق الفشل بعملها كله. واستحال النوم فى الزوابع الثلجية والعواصف الثائرة واضطرت البعثة رغم ارادتها الى الانسحاب الى دير رونجبوك حيث تحسن الجو فى ليلة واحدة كما لو كان قد ارتاح الى تراجع البعثة وانسحابها . ومع ان البعثة فقدت بذلك وقتا ثمينا قرر رجالها الاستمرار فى محاولتهم بأسرع ما يمكن فعادوا بحماس جديد الى المستودع الرابع ولكن عادت الاقدار الى معاكستهم ثانية فساءت حالة الجو ولم يسبق لبعثة استكشافية من قبل ان صادفت مثل هذه العقبات والنكبات. ولكن حدث فى اثناء هذه الرحلة انهم اقتصوا الى حد ما من الحادثة المحزنة التى قتل فيها سبعة من الحمالين فى سنة ١٩٢٢ وذلك حينما خاطر

كل من سومرفيل ومالورى بحياتهما لانقاذ اربعة من الحمالين حاصرتهم كتل الثلوج وكانوا على آخر رمق .

وبعد ذلك قام كل من نورتون وسومرفيل بمحاولة اخرى لادراك القمة ولكنهما عادا خاسرين ثم جاء دور كل من ارفين ومالورى فاخذا يتسلقان الجبل فى ٤ يونيو ومعهما بعض الحمالين قاصدين الرقبة الشمالية بينما عاد كل من نورتون وسومرفيل . وعندما ادركا المستودع الخامس كان الثلج يتساقط ولما كانت الرياح خفيفة ظن مالورى ان احتمال النجاح ليس بالقليل وفى صباح اليوم التالى قاما مبكرين وقصدا المستودع التالى وبقى اوديل الذى كان قد صحبهما فى المستودع الخامس على ان ينتقل فى اليوم التالى الى المستودع السادس ويبقى فيه ينتظر عودتهما .

وفى اليوم التالى استيقظ اوديل وقد امتلأ ضميره بالتكهنات وكان فى حالة تأثر شديد اذ كان مالورى وايرفن فى ذهنه على الدوام فلجأ على مهل الى حزم ملابسه والانتقال الى المستودع السادس . وكانت قمة افريست محاطة بضباب كثيف لان طبقة من السحب هبطت على رأس الجبل . ثم شاهد منظرا لا ينسى ذلك ان السحب تفرقت فجأة كأنها ستارة فكشفت عن منظر مثير اذ بدت الشمس ساطعة على القمة فى السماء الزرقاء فبهره المنظر فتأمله مبهوتا وكانت دهشته عظيمة عندما ميز شبحين اسودين يتحركان ببطء عبر الثلوج ولم يكد يلمح هاتين النقطتين حتى هبطت السحب واختفت

قمة ثلجية بديعة لا اسم لها اكتشفت على رأس ثلاجة رونجبوك الرئيسية .

النقطتان المتحركتان . وكان ذلك قبل الظهر بكثير وكان مالورى وايرفن على بعد يقل عن الف قدم من غايتهما النهائية فسر اوديل وتأثر غاية التأثر وعاد الى خيمته الرقيقة يصغى الى دوى الرياح وهو يتساءل عما اذا كان قد قدر لهما النجاح واخذ يتصورهما يكافحان بشجاعة ويدفعان طريقهما الى الامام تحدوهما الارادة القوية وتلاطمهما الرياح الباردة والثلوج العاصفة كما لو كانت شظايا الزجاج



أعضاء الرحلة يتسلقون جسرا ثلجيا على الجانب الشرقى للرقبة الشمالية .

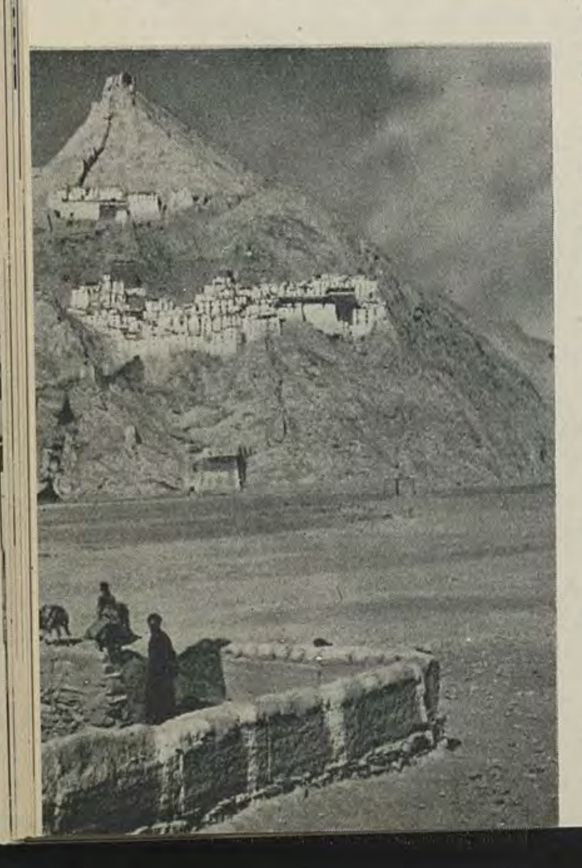
— تحدوهما تلك الارادة الانسانية التى تتضاءل كشعاع خفيف من نار — ولا يتكلمان لانهما فى حاجة الى كل ما فيهما من قدرة على التنفس لحفظ مناعة اجسامهما الجائعة المتهدمة، والصلة بينهما عميقة مبنية على التفاهم والتساند، يتسلقان القمة صعودا وغايتهما النهائية تبدو قريبة ولكنها بعيدة.

وقد قضى اوديل على صبره لاجل تفكراته وتصوراته ولم يستطع الانتظار فاندفع خارجا للترحيب بهما عند عودتهما واخذ يتعثر على جوانب الجبل يناديهما ولكن اصواته ذابت بين شفتيه بفعل الرياح العاصفة فعاد الى الخيمة . وعندما ادركها هدأت العاصفة كما لو كانت قد اطاعت امرا مجهولا وتفرقت السحب وبدت القمة واضحة بيضاء ناصعة ولم تكن هناك أية علامة او اثر للشبحين الاسودين فأثقل ذلك على اوديل وبدأ الرجوع الى المستودع الخامس ثم اسرع الى الرقبة حيث لحق بزميله هازار وبقيا فى انتظار عودة الرجلين المنتصرين فى آخر الامر على القلعة الطبيعية المتكبرة التى لا تقهر . ولكن اوديل احس ان الامر ليس على ما يرام فعاد بصحبة اثنين من الحمالين مسرعا الى المستودع السادس

وهناك وجد ان الخيمة ومحتوياتها فى نفس الحالة التى تركها عليها منذ يومين فأخذ يصعد الجبل نحو ساعتين يحاول ان يقف على اثر لمصير مالورى وايرفن وغلب عليه اليأس وبدأ امله الذى لم يفقده بعد يتضاءل ثم ادرك اخيرا ان هذين الرجلين الشجاعين قد اختفيا وان افريست قد احتضنتهما كمأواهما الاخير ومقر راحتهما الأبدية .

ولا يعرف احد الى اى ارتفاع وصل ايرفن ومالورى فى تسلقهما او ما اذا كانا قد ادركا القمة فعلا . ولكن ذكرى هذين الرجلين اللذان دفعا بكل قواهما الضعيفة لمواجهة اهوال جبل افريست ستبقى خالدة فى سجلات الشجاعة والعزم والصبر . وروحهما اليوم لا تزال باقية دليلا على قوة وكرامة الروح الانسانية .

بعد هذه الكارثة المريعة لم تبذل محاولات اخرى لغزو افريست حتى سنة ١٩٣٣ اى بعد تسع سنوات وكانت البعثة مكونة من سمايث وشيبتون وبرنى ولكنهم ايضا مع انهم استفادوا من جميع تجارب البعثة المنكودة الحظ التى سبقتهم قد اصيبوا بالفشل . وفى نفس هذا العام غزيت قمة افريست ولكنها غزيت من الجو . فقد قامت طائرتان من طراز «وستلاند» جهزتا خصيصا للطيران فى الارتفاع العالى واستطاع رجال هاتين الطائرتين بعد



منظر لشكاردزونج حيث استراح أعضاء البعثة .

مخاطرات شديدة بحياتهما ان يحصلوا على صور فوتوغرافية عظيمة الاهمية فى اعمال المساحة . وكانت الرحلة الجوية الاولى من الناحية العلمية فاشلة ولكن الرحلة الثانية التى تلتها بعد اسبوعين صادفها نجاح لا يوصف وعادوا بصور فوتوغرافية مدهشة فى وسعها وتفاصيلها ودقتها وهى تكشف عن تفاصيل جغرافية جديدة لم تخيل بعد . ولا شك ان هذه الصور الفوتوغرافية ستكون اساسا عظيم النفع لاعمال البعثة الاستكشافية المقبلة .

ويقف جبل افريست لم تطأ قمته قدم انسان الى يومنا هذا ولم يغزه بعد المغرسون يرفع رأسه المعمم بالثلوج باعتزاز فى اطباق الجو تزينه ريشة من ثلج تستطيل ستة اميال فى طبقات الهواء تنعكس عليها اشعة الشمس الساطعة فتستهوى قلوب الرجال وتتحداهم وكأنها تجد لذة ومتعة شيطانية فى اخفاق جهودهم جميعا لانتزاع سطوة الانتصار منها .

وطالما وقفت كذلك شامخة ظافرة غير مغزوة سيقبل الرجال ويتقدمون بشجاعة حتى يتموا رحلتهم .

معسكر بعثة سنة ١٩٣٨ . وهذا المنظر من رونجبوك يعطى لمحة بعيدة لجبل افرست .



المخطوطات العربية فى المكتبة البودلية

بقلم الدكتور ب . كاله

أسست المكتبة البودلية فى سنة ١٦٠٣ أى قبل إنشاء مكتبة المتحف البريطانى بنحو مائة وخمسين عاما، وهى تحتوى على مجموعة من أكبر مجموعات المخطوطات العربية فى أوربا فهى زهاء ثلاثة آلاف مخطوطة . ومن أسباب هذا أن قسما عظيما من هذه المخطوطات قد جمع فى الشرق الأدنى فى وقت كانت العناية فيه بهذه الدراسات ضئيلة فى بقية أوربا .

ذلك أن إدوارد بوكوك (١٦٠٤—١٦٩١ م) المستشرق من اكسفورد قد قضى اكثر من عشر سنوات فى الشرق (من سنة ١٦٢٩ إلى سنة ١٦٣٦ كان فى حلب ومن ١٦٣٧ إلى ١٦٤٠ كان فى القسطنطينية) حيث قام بجمع المخطوطات العربية لنفسه ولآخرين، فمن بين المخطوطات الألف والثلاثمائة القيمة التى أهداها رئيس الأساقفة لود بين سنتى ١٦٣٥ و ١٦٤٠ إلى المكتبة البودلية كان عدد قد جلبه بوكوك . وأما مجموعته الخصوصية المحتوية على ٤٢٠ مخطوطة عربية قد حصلت عليها المكتبة بعد وفاته .

ثم إن روبرت هنتنجتون (١٦٣٧—١٧٠١ م) الذى أقام بحلب عشر سنوات من ١٦٧١ إلى ١٦٨١ قد جمع ٦٨٠ مخطوطة أغلبها عربى امتلكتها المكتبة بعد وفاته، كما أنه ابتاع مخطوطات كثيرة لاجل علماء آخرين كانوا مهتمين بهذه الدراسات وخاصة لتوماس مارشال (١٦٢١—١٦٨٥م) رئيس كلية لنكولن الذى اوصى بمجموعته من ١٥٩ مخطوطة عربية إلى المكتبة، كما اوصى بمجموعة نارسيوس مارش (١٦٣٨—١٧١٣) المحتوية على ٧١٤ مخطوطة عربية . إلا أن أثمن المخطوطات كانت فى حيازة الأستاذ جوليوس (١٥٩٦—١٦٦٧) المستشرق الكبير الشأن فى ليدن . وهو نفسه قد قضى أربع سنوات (١٦٢٥—١٦٢٩) فى الشرق

الأدنى . وإن المخطوطات التي حصل عليها لتدل على مهارته وعلمه . وحين بيعت مكتبته في ليدن سنة ١٦٩٦ تحصل الأسقف مارش على عدد عظيم من مخطوطاته الثمينة . ووصلت إلى المكتبة مجموعات أخرى من المخطوطات، ففي سنة ١٨٠٥ بعض مخطوطات عربية جمعها جيمس فيليب دورفيل، وفي ١٨٠٩ مجموعة من المخطوطات ابتاعها في الشرق الأدنى ا . د . كلارك ومن بينها عدد من المخطوطات العربية . وفي سنة ١٨٤٣ ابتيعت المجموعة القيمة من المخطوطات الشرقية التي جمعها الرحالة الاسكتلندي الشهير جيمس بروس المولود في كنارد (١٧٣٠—١٧٩٤) وكانت تحتوى على سبعين مخطوطة عربية . وفي سنة ١٨٥٩ أهدى ج . ب . إليوت من كلكتا إلى المكتبة مجموعة ثمينة محتوية على ٤٢٢ مجلدا من المخطوطات العربية والفارسية، وهي يتكون أغلبها من المخطوطات التي حصل عليها السير جور أوزلي من رجال السلك الدبلوماسي (١٧٧٠—١٨٤٤) بينما كان في عمله في الشرق ثم اشتراها بعد ذلك المستر إليوت .

وحين اعتقدت جامعة اكسفورد في سنة ١٧٦٦ ان الوقت قد حان لتصنيف فهرست للمخطوطات الشرقية وقع الاختيار على جون يوري (١٧٢٦—١٧٩٦) لهذا العمل . وكان يهوديا مجريا درس الآداب الشرقية على الأستاذ شولتنس في ليدن . وبعد أكثر من عشرين عاما قضاها منكبا على هذا العمل نشر فهرسته في سنة ١٧٨٧ وفيه وصف ما يقرب من ١٤٠٠ مخطوطة عربية . ولم يكن من السهل في ذلك الوقت تدوين المخطوطات العربية في فهرست فان آغلب كتب السير والمراجع لحياة المؤلفين التي هي الآن في حوزتنا لم تكن موجودة إذ ذاك، وهكذا لم يكن الفهرست ذا نتيجة مرضية تماما ولا هو يقدم وصفا كافيا للمخطوطات، أضف إلى ذلك أنه لم يتناول كل المخطوطات بالوصف وأن مخطوطات أخرى كثيرة قد أهديت إلى المكتبة بعد ذلك . وكان من نتيجة ذلك أنه لما صار اسكندر نقول (١٧٩٣—١٨٢٨) وكيل المكتبة



الكتبة البودلية فى اكسفورد .

البودلية فى سنة ١٨١٤ وسنه إذ ذاك لا تتعدى الحادية والعشرين ابتدأ فى تحضير المجلد الثانى من الفهرست . واستمر فى هذا العمل بعد أن صار أستاذا ملكيا فى العبرانية وقسيسا بكنيسة المسيح فى سنة ١٨٢٢، ولما قضى نحبه فى سنة ١٨٢٨ ولما يزل فى عنفوان شبابه خلفه الأستاذ إدوارد بوفرى بوسى (١٨٠٠—١٨٨٢) وواصل العمل الذى بدأه نقول . وقد نشر المجلد الثانى من الفهرست فى سنة ١٨٣٥ وفيه تنوول نحو ٣٠٠ مخطوطة عربية أخرى بالوصف وعملت تصحيحات وإضافات كثيرة إلى فهرست يورى . وكان هذا الفهرست على قدر أعظم من الدقة مما كان عليه الاول .

ولكن أعظم مخطوطات المكتبة القيمة موصوفة فى مجلد يورى الاول، وإن كان نقص وصفه كثيرا ما يجعل من الصعب تقدير الأهمية الحقة للمخطوطات الموصوفة هناك، فمن هو الذى يقرأ الملحوظات الموجزة عن

مخطوطة مارش ٤٠٨ (يورى ٣٠٣) ويدرك أن هذه مخطوطة من أنفس المخطوطات المصورة لمقامات الحريرى، أو من هو الذى اذ يقرأ الملحوظة عن مخطوطة بوكوك . . ٤ (يورى ٣٠٦) يدرك أنها من أهم المخطوطات المصورة للترجمة العربية لكليلة ودمنة التى ترجمها عبد الله بن المقفع ! وكذلك إذا قرأنا الأوصاف المختزلة التى كتبها يورى تحت رقم ٨٨٤ ورقم ٨٨٧ لا نكاد نحصل على فكرة صميمة عن أهمية مخطوطتين لكتاب الشريف الادريسى وما فيهما من خرائط قيمة . إلا أن فهرست يورى يحتوى على الأقل على قائمة بما هو محفوظ فى المكتبة .

ولعلنا نستطيع الآن أن نعطى بضع ملحوظات عن قليل من المخطوطات الهامة فى المكتبة البودلية .

كتب المراجع والمصادر. فى حوزة المكتبة نسخة ثمينة كاملة من (كشف الظنون) ذلك المعجم الهام للمراجع الذى ألفه حاجى خليفة وقد كتبت هذه النسخة فى سنة ١١٦٤ هجرية. وقد حصل على هذه النسخة الأستاذ نقول فى سنة ١٨٢٢ من مكتبة المفتى فى القسطنطينية ولهذه النسخة قيمة خاصة إذ أنها تتضمن تواريخ وأسماء لا توجد فى النصوص المطبوعة للكتاب وإلى جانب ذلك كثيرا ما يختلف النص عن النسخ المعروفة . ولا بد أن هذه المخطوطة نسخة من الكتاب قام المؤلف نفسه بعمل تصحيحات وتكميلات كثيرة فيها . وهى موصوفة تحت رقم ٤٢٢ من المجلد الثانى للفهرست .

التاريخ . فى كتاب (الفتح القسى فى الفتح القدسى) يتناول عماد الدين الكاتب الاصبهانى وقائع فتح فلسطين حتى وفاة السلطان صلاح الدين الايوبى (٥٨١—٥٨٩ هجرية)، وقد كان الكاتب على علاقة شخصية وثيقة بالسلطان. ثم إنه أضاف إلى كتابه هذا ملحقين يتناول فيهما ما حدث من الأحداث حتى عام وفاته سنة ٥٩٧ هجرية . وقد ضاع هذان الملحقان ولكن أبا شامة (المتوفى سنة ٦٦٥ هجرية) قد اعتمد عليهما إلى حد كبير فى تأليف كتابه (كتاب الروضتين) إلا أن تاريخ صلاح الدين فيما سبق ذلك

من الزمن أعظم أهمية، وعلى هذا التاريخ أوقف عماد الدين كتابه (البرق الشامى) وهو مذكرات فى سبعة مجلدات جمع فيها المؤلف كل الرسائل الرسمية والوثائق التى كتبها السلطان أو كتبت باسمه والمجلد الخامس من هذا الكتاب يتناول بالوصف حوادث سنتى ٥٧٨ و ٥٧٩ وهو متضمن فى مخطوطة مارش ٤٢٥ (يورى ٧٦١) والمجلد الثالث يشمل السنوات من ٥٧٣ إلى ٥٧٥ وهو متضمن فى مخطوطة بروس ١١ . وهذان المجلدان مختلفا الحجم ولكن كلا منهما قديم ومعاصر تقريباً للمؤلف . ثم إنهما وحيدان . والملحوظة القائلة بأن نسخة من هذا الكتاب محفوظة فى لننجراد خاطئة (تذكرة النوادر صفحة ٨١ وكررها بروكلمان فى الملحق جزء ١ صفحة ٣١٥) فالأستاذ كراتشكوفسكى قد كتب إلى قائلا إن مخطوطة لننجراد هى فى الحقيقة نسخة من فتح فلسطين .

وقد طبع (صبح الأعشى فى صناعة الانشاء) ذلك الكتاب الهام للقلقشندى فى القاهرة سنة ١٣٣١—١٣٣٨ ﻫ ١٩١٣—١٩١٩ م من نسخة قيمة أكملت فى سنة ٨٨٩ ﻫ وهى تكاد تكون المخطوطة الوحيدة المعروفة للكتاب . والمجلدات الثالث والرابع والخامس والسادس من هذه المخطوطة موجودة فى القاهرة، وأما المجلدات الأول والثانى والسابع فى حوزة المكتبة البودلية فى اكسفورد (الأول فى نسخة سلدن ٣١٥٠، يورى ٣٦٥، والثانى فى نسخة سلدن ٣١٥١، يورى ٣٦٦، والسابع فى نسخة مارش ٣١٧، يورى ٣٩٠) .

علم الفلك . إن المخطوطات التى تتضمن الملاحظات الفلكية التى عملت فى الشرق قد تحصلت عليها المكتبة ودرست دراسة دقيقة فى اكسفورد . والجداول الفلكية الجديدة التى نشرها فى سنة ١٤٣٧ ألغ بك أكبر أبناء شاهرخ الذى خلف أباه فى السلطنة موجودة فى المكتبة البودلية بالنص الفارسى (مخطوطة جريفز ٣٧٧٧، يورى فارسية رقم ٦٥) وبالنص العربى (مخطوطة ا . د . كلارك ١٨، نقول ٢٧٣) . وفى هذا الكتاب يتحدث المؤلف عن التواريخ المختلفة بما منها التأريخ الصينى، ومسالك

برج «الانظمة الخمسة» فى المكتبة البودلية .

الكواكب السيارة ومواضع الكواكب الثابتة كما لاحظها هو ورجاله الفلكيون فى مرصد سمرقند. وهذا الكتاب يعود الفضل فى تعريفه فى أوربا إلى الأستاذ جون جريفز وفى سنة ١٦٦٥ قام توماس هايد بنشر النص الفارسى لأقسام من الكتاب مصحوبا بترجمة لاتينية.

الطب. يخبرنا ابن أبى أصيبعة (٢ : ٥١) أن أبا بكر حامد بن سمجون كان طبيبا عظيم القدر ذا براعة ممتازة فى فعل العقاقير المفردة وأوصافها وأن كتابه عن هذا الموضوع اشتهر بمزاياه وأنه قد بذل أقصى مجهوده فى تأليفه، والكتاب الذى ألفه اسمه (مجموعات أقوال المؤلفين والفلاسفة من سلف منهم ومن خلف عن المفردات) وقد ألف هذا الكتاب فى القرن الرابع الهجرى ويعتقد عامة الباحثين أنه قد ضاع. ولكن المتحف البريطانى قد تحصل حديثا على قسم منه (شرقية ١١٦١٤) وفى مخطوطة بروس ٤٧–٤٨ قد حفظ المجلدان الثانى والثالث من الكتاب فى نسخة جيدة قوبلت على المخطوطة الأصلية للمؤلف. وابن سمجون يروى فى كتابه عددا عظيما من أقوال المؤلفين من اليونان والرومان الذين كتبوا فى العقاقير المفردة. ولكتابه قيمة خاصة إذ أنه يقتبس بدقة أقوال كل المؤلفين من العرب فى القرنين الثالث والرابع الذين كتبوا فى العقاقير المفردة، والذين ضاعت معظم مؤلفاتهم. وإن ابن البيطار (المتوفى سنة ٦٤٦ هـ) فى كتابه المشهور (جامع مفردات الأدوية والأغذية) يذكر ابن سمجون فى مواضع كثيرة كمرجعه ولكنه يذكر فى مواضع اكثر عدداً الغافقى (المتوفى ٥٦٠ هـ) والكتاب الذى ألفه هذا عن المفردات قد نشر حديثا مختصره ضمن مطبوعات كلية الطب بالجامعة المصرية وناشراه الدكتور مايرهوف والدكتور صبحى (القاهرة ١٩٣٢). ونحن الآن نجد أن الغافقى قد استمد جزءا كبيراً من تأليفه من ابن سمجون. كما أن ابن سمجون أحد المراجع الخمسة التى اعتمد عليها موسى بن ميمون فى تأليف كتابه (شرح أسماء العقار) الذى نشره أخيرا الدكتور مايرهوف (القاهرة ١٩٤٠).

هذا وقد كان ديوسقوريديس عمدة هامة للكتب العربية فى العقاقير المفردة فكتابه (فى هيولى علاج الطب) أو (الحشائش) قد ترجمه إلى العربية فى عهد مبكر اسطفان ابن باسيل تحت إشراف المترجم الذائع الصيت حنين بن اسحق (المتوفى سنة ٢٦٠ ﻫ) . وقد أهديت إلى المكتبة البودلية فى سنة ١٩١٢ نسخة ثمينة من المجلد الثانى من هذه الترجمة محلاة بتصاوير جميلة للنباتات (نسخة عربية د. ١٣٨) وتصاوير المخطوطة ترجع إلى تصاوير قديمة جدا فى المخطوطات اليونانية وهى تشبه التصاوير التى فى المخطوطة اليونانية رقم ٢١٧٩ فى باريس التى كتبت فى القرن التاسع . ومن العجيب أن النباتات فى هذه المخطوطة اليونانية كثيرا ما ترد اسماؤها بالحروف العربية . وتوجد اختلافات كثيرة بين المخطوطات المختلفة لهذه الترجمة فنحن نجد أن النساخين لم يقصروا عملهم على نسخ النص بل حاولوا تحسينه أيضا . وفى المخطوطة السابقة الذكر قد أضيفت إلى التصاوير الأسماء اليونانية للنباتات مكتوبة بحروف عربية . وقد كان هذا العمل دائما مشكلة حار فيها العرب . ونحن نعرف أن ابن جلجل (من رجال القرن الرابع) حاول تحقيق أسماء النباتات التى ذكرها ديوسقوريديس بالرجوع إلى مخطوطة يونانية مصورة أرسلها الامبراطور البيزنطى إلى قرطبة وعاونه راهب يونانى اسمه نقولا أرسل إلى أسبانيا فى سنة ٣٤٠ هجرية . والنص العربى لديوسقوريديس ليس بالنص اليونانى الذى نقرؤه فى الطبعة الحالية التى نشرها ولمان، وفيه اختصارات وحذف كثير فهو يتطلب فحصا دقيقا .

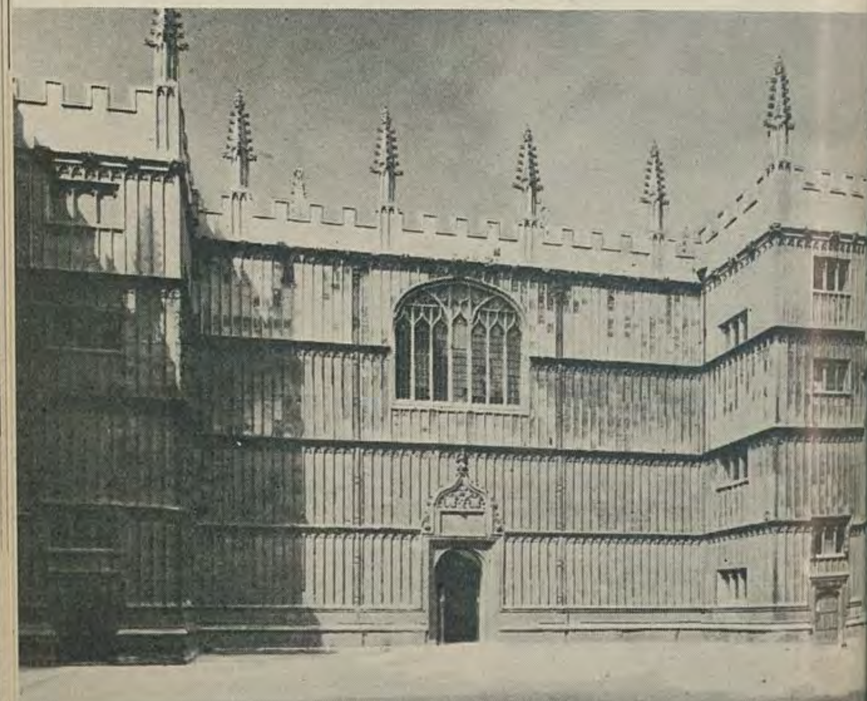
الشعر . أغلب معرفتنا بديوان الأعشى الذى عاصر النبى عليه السلام راجعة إلى رواية ثعلب النحوى الكوفى المشهور (توفى سنة ٢٩١). ومخطوطة اسكوريال القديمة النفيسة تتضمن رواية ثعلب هذه وهى المرجع الأساسى لعلمنا بالديوان، ونحن نعرف سوى هذه المخطوطة ديوانا أكثر اختصارا تتضمنه مخطوطات القاهرة وليدن وباريس، ونعرف من فهرست ابن النديم أنه كانت روايات متعددة مختلفة للديوان موجودة فى

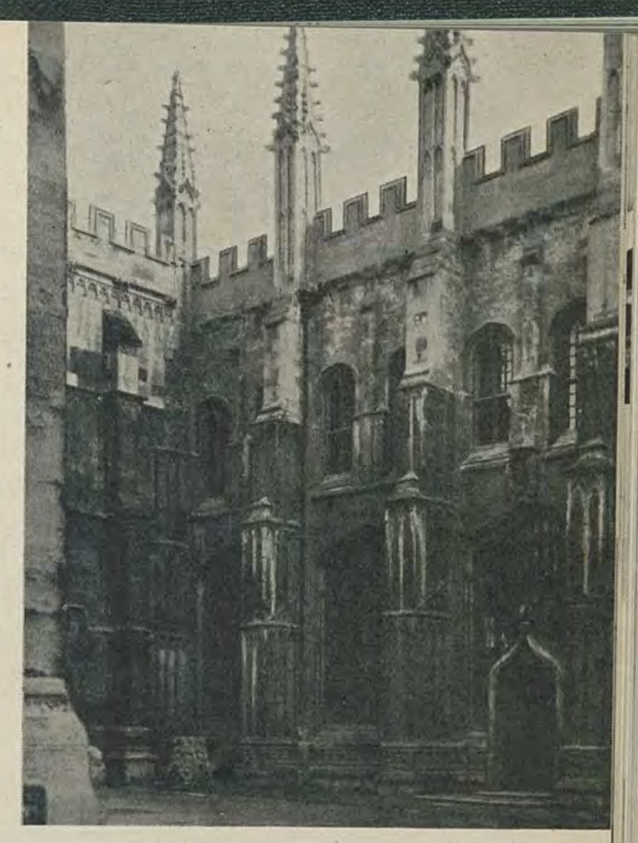


زمانه وهى الآن قد ضاعت جميعها . ولكن المخطوطة البودلية العربية د. ١٥٤ قد حفظت جزءا عظيما من ديوان الأعشى يختلف اختلافا شديدا عن الديوان كما عرف قبل ذلك فى كلتا صورتيه، وهذه المخطوطة تاريخها سنة ٧١٦ هجرية وهى مكونة من إحدى وستين ورقة تتضمن اثنتان وأربعون منها قصائد الأعشى وثمانى عشرة تتضمن قصائد امرئ القيس وكلا القسمين كتبه نفس النساخ . وهذه المخطوطة تحتوى على عدة قصائد غير موجودة بالكلية فى أى كتاب آخر . وكثير من مواضع النقص فى مخطوطة اسكوريال يمكن ملؤها من هذه المخطوطة . والمخطوطة إذا قورنت بالنصوص المعروفة من قبل تعطينا قراءات متعددة . ونص هذه المخطوطة يجب أن يدرس دراسة دقيقة إذا أريد إصدار طبعة جديدة صحيحة للديوان .

معاجم اللغة . كان كتاب العين للخليل أول محاولة لجمع الكلمات

جانب الغربى للمربع البودلى .





منظر للمكتبة البودلية ومدرسة اللاهوت .

العربية كلها وشرحها. فقد وضع المؤلف (وقد توفى فى سنة ١٧٥ ﻫ) أبجدية عربية رتبت فيها الحروف بحسب مخارجها الصوتية مبتدئا بالعين وحروف الحلق ومنتهيا بحروف الشفه (الفاء والباء والميم) ثم بالواو والألف والياء . وقد حفظ قسم صغير من هذا الكتاب فى المخطوطة البودلية العربية أو. ٢٩ وهو يتناول الكلمات العربية التى يصحب فيها حرف الكاف حرف أو حرفان من الحروف التالية له فى أبجدية الخليل . وهذا القسم ذو قيمة عظيمة جداً اذ يذكر فيه اللغويون من العرب فى القرنين الثانى والثالث كلهم جميعا بلا استثناء واحد . والكتاب فى هذا الوضع لا بد أن يكون نتيجة دراسة دقيقة جداً لمؤلفات هؤلاء اللغويين العرب قام بها المصنف فى آخر القرن الثالث . ونحن نعرف أنه سرعان ما حل محل كتاب العين معاجم لغوية مرتبة على مبادىء أخرى وكان أولها جمهرة ابن دريد (المتوفى سنة ٣٢١ هجرية) وقد رمى نفطويه ابن دريد بأنه لم يفعل إلا أن أخذ ما فى كتاب العين ورتبه ترتيبا آخر . ويندر جداً أن توجد قطع من هذا الكتاب . والقطعة السابق ذكرها نموذج جيد للوضع الذى أتخذه الكتاب حوالى سنة ثلاثمائة هجرية .

أسس العظمة القومية

جورج واشنجطون، كما يعلم قراؤنا، كان بحق والد الولايات المتحدة وقوبل انتخابه كاول رئيس للاتحاد فى سنة ١٧٨٩ بالترحيب من كل الاحزاب ومن كافة الناس على انه احسن اختيار ممكن . وفى سنة ١٧٩٣ اعيد انتخابه لمدة ثانية . وما كان احب للامريكيين من انتخابه لمرة ثالثة لولا ان واشنجطون عقد فى سنة ١٧٩٦ العزم على اعتزال السياسة فالقى فى ١٩ سبتمبر من ذلك العام خطبة وداعية ننشر فى ادنى هذا مقتطفات منها . كان هذا الخطاب بما حواه من ثمرات عمر صرف فى السياسة وتجربة اكتسبت خلال السنوات الاولى من تكوين جمهورية ناشئة، كان مليئا بالحكمة العملية . ولعل دراسته لا تزال على فائدة كبيرة لكل من يهتمون بتوفير الرفاهية لاوطانهم وللبحث عن خير السبل لتحقيق ذلك مهما اختلفت جنسياتهم واوطانهم .

. . . .

اصدقائى ومواطنى . ان ميعاد انتخاب مواطن يتولى شئون الحكومة التنفيذية للولايات المتحدة قد اوشك ولم يعد بعيدا، بل فى الواقع لقد حان الوقت الذى يجب ان تتجه فيه افكاركم لاختيار الشخص الذى تعهدون اليه بهذه الوديعة الغالية . ويبدو لى انه من الصواب — خصوصا لما فى ذلك من مساعدة لبعض اتجاهات الرأى العام — ان احيطكم علما بما عقدت عليه العزم من الا تعتبرونى من بين الاشخاص الذين ستختارون الرئيس منهم . . .

ان تعلقى بما فيه صالحكم، ذلك التعلق الذى لن ينتهى الا بانتهاء حياتى، وادراكى للخطر الذى هو لازمة طبيعية لمثل هذا الاهتمام يدفعاننى







الى انتهاز مثل هذه الفرصة لان اعرض عليكم بغرض التمعن الجدى والتمحيص المستمر بعض خواطر هى نتيجة ترو عميق وملاحظة غير قاصرة، هى لاستمرار حياتكم ورفاهيتكم كشعب، خواطر تبدو لى على الغاية من الاهمية . وساعرضها عليكم من غير تحفظ وفى كثير من الحرية اذ لن تروا فيها سوى تحذيرات صديق راحل غير مغرض ليست له فى الامر مصلحة ذاتية تشوب مشورته . . . .

ان تشرب حب الحرية بشعاب قلوبكم لينفى الضرورة لاية نصيحة اتقدم بها لتقوية هذا التعلق وتمكينه .

ان وحدة الحكومة التى تكون منكم شعبا واحدا هى ايضا عزيزة عليكم اليوم، عزيزة بحق اذ هى العماد الرئيسى فى صرح استقلالكم الصحيح، عليه تستند طمأنينتكم فى الداخل وسلمكم فى الخارج وعليه تعتمد سلامتكم ورفاهيتكم بل وذات الحرية التى انتم شديدو التعلق بها . لكن — كما هو من السهل التنبؤ — لن يدخر وسع ولا خديعة لمختلف الاسباب ومن مختلف الجهات، يقصد منها زعزعة تمكن هذه الحقيقة من عقولكم . سيكون هذا المعقل فى حصنكم السياسى هدفا دائما لاعدائكم فى الداخل والخارج يصوبون عليه سهامهم باستمرار وبنشاط، وان كان فى تستر ودهاء . وانه لمن الضرورى على الدوام وواجب عليكم ابدا ان تقدروا احسن التقدير مبلغ الفائدة الكبرى التى يوفرها اتحادكم القومى لسعادتكم افرادا وجماعة، وان تتعهدوا من كل قلوبكم وتتطبعوا على التعلق به تعلقا ثابتا، معودين انفسكم على التفكير فيه والتحدث عنه على انه صرح سلامتكم ورفاهيتكم، يقظى المحافظة عليه بكل غيرة، معرضين عما قد يلمح بل حتى عن شبهة التلميح بان فى الامكان الاستغناء عن هذا الاتحاد، وان تقضوا فى المهد على اية محاولة ترمى لابعاد اى جزء من اجزاء وطننا عن بقيته او لاضعاف الروابط المقدسة التى تربط مختلف الاجزاء بعضها ببعض .

ولكم فى هذا باعث من العطف والمصلحة . فيا مواطنى هذا القطر



مجموعة من الطوابع الأمريكية عليها صورة واشنجتن. وتاريخها ما بين سنة ١٨٤٥ و سنة ١٨٦١ (سمح لنا بنشرها محل فرانك جودن لمتد) .

المشترك، سواء اكنتم ابناء له بالميلاد ام عن الاختيار، ان لهذا القطر حقا فى محبتكم جميعا . ان اسم «امريكى» الذى هو ملك لكم بصفتكم القومية يجب ان يثير فيكم دائما القدر الحق من الشعور الوطنى اكثر مما يثيره اى عامل آخر مرجعه الاختلافات المحلية . فانتم بالرغم من اختلافات بسيطة بينكم قوم على دين واحد وتصرفات وعادات ومبادئ سياسية واحدة . لقد حاربتم معا من اجل قضية مشتركة وانتصرتم معا، فالاستقلال والحرية اللذان تتمتعون بهما اليوم هما نتيجة تفكير

مشترك ومجهود مشترك، هما نتيجة اخطار مشتركة وآلام مشتركة وانتصارات مشتركة . . . .

وللاحتفاظ بشكل حكومتكم والابقاء على الدوام على هذه الحالة المرضية يجب عليكم ليس فقط ان تعرضوا باستمرار عن كل معارضة شاذة لسلطة الحكومة المعترف بها بل يجب ايضا ان تقاوموا روح التجديد فى مبادىء الحكم مقاومة حذرة مستنيرة مهما حسنت ظواهر الاسباب التى تدعم بها رغبة التغيير . لقد تكون احدى وسائل اضعافكم هو ادخال تغييرات على شكل الدستور تعوق نشاط النظام الحكومى وسيره الطبيعى وبذلك توهن من اساس ما تعذر القضاء عليه مباشرة . فعند كل تغيير يعرض عليكم تذكروا ان الزمن والعادات امران لا تقل اهميتهما للأصول السليمة للحكم عن الاهمية التى لهما فى اية مؤسسة

مجموعة أخرى من الطوابع عليها رأس واشنجتن تاريخها من سنة ١٨٦٩ إلى سنة ١٨٩٥ (سمح لنا بنشرها محل فرانك جودن لمتد) .



بشرية اخرى . فتلك الخبرة هى اضمن فيصل لاختبار الاتجاهات الصحيحة لاى الدساتير الموجودة لاى البلدان . وقبول التغيير بسهولة استنادا الى مجرد نظريات وآراء يعرض الدساتير لعدم استقرار مستمر اذ سيل النظريات والآراء دائم التغيير لا ينقطع . وتذكروا بنوع خاص انه لادارة الحكم بحنكة فى صالح المجموع فى بلد متسع كوطننا يكون وجود حكومة على الدرجة من النشاط التى تتوافق مع الحماية الكاملة للحرية امرا لازما ضروريا . وسيكون للحرية ذاتها فى مثل تلك الحكومة المتمتعة بسلطات موزعة توزيعا صائبا وعادلا خير حافظ وضامن . والواقع ان الحرية لن تعدو ان تكون مجرد اسم اذا ما كانت الحكومة على الدرجة من الضعف الذى لا تقوى معه على مواجهة حيل اهل الفتنة ولا على ان تلزم كل عضو من اعضاء المجتمع مكانه فى الحدود التى ترسمها القوانين الموضوعة، ولا من رعاية كل الافراد فى ظل الطمأنينة والهدوء اللذان يترتبان على التقنع بالحقوق الشخصية والمادية . . .

والدين والاخلاق هما، من بين الحالات والعادات التى تؤدى الى الرخاء السياسى، اهمها والزمها . فعبثا يدعى الوطنية امرؤ يسعى لتقويض هذين العمادين الراسخين من عمد السعادة البشرية، هذين السندين القويين لواجبات الانسان والمواطنين . فمن واجب السياسى العادى كما هو الحال مع الرجل المتدين ان يحترمهما ويتعهدهما . وان مجلدا ضخما ليس يكفى لبيان صلاتهما المتعددة بهناء الحياة الخاصة والعامة . وقد يسأل المرء سؤالا بسيطا : ماذا يكون ضمان حق الملك والسمعة والحياة اذا ما اختفت روح الالتزام الدينى من الايمان التى هى وسيلة التحقق فى محاكم العدالة؟ فلا نفرض الا بكل تحفظ ان الدين غير لازم لاثبات القواعد الاخلاقية . سهما كان من تأثير التعليم المتقدم على اصحاب العقول الشاذة فان الادراك والتجربة يقضيان باستحالة امكان الاحتفاظ بقواعد الاخلاق القومية اذا ما فصلت المبادىء الدينية عنها .

انها لحقيقة لا شك فيها ان الفضيلة و الاخلاق هى نبع ضرورى



للحكومة الشعبية . وهذه القاعدة تنطبق على كل اشكال الحكومات الحرة بدرجات تتفاوت . فاى نصير مخلص اذا لمثل تلك الحكومة يمكنه التغاضى عن اية محاولة تبذل لتقويض اركانها ؟

ثم تعملوا على تشجيع انشاء مؤسسات لنشر المعرفة مع اعتبار ذلك امرا ذا اهمية اولى . فبنسبة القوة التى يعطيها شكل الحكم للرأى العام يجب ان تكون نسبة تنوير الرأى العام متزائدة .

ومن اهم منابع القوة والطمأنينة فى الدولة رعاية الدين العام . ومن وسائل الاحتفاظ بالثقة العامة الاقلال من الالتجاء اليه بقدر الامكان كتفادى اثارة الظروف التى تستدعى كثرة الانفاق بمحاولة الابقاء على السلم، مع التنبه الى ان انفاق المال فى الوقت المناسب اعدادا لدرء خطر يلوح غالبا ما ادى الى توفير نفقات طائلة كانت تصرف على مواجهته عند حلوله . ومن ذلك ايضا تفادى تراكم الديون ليس فقط بملافاة الظروف التى تستدعى الانفاق بل بالنشاط فى وقت السلم فى سداد الديون التى ترتبت عن حروب لم يكن منها مفر دون التراخى فى تسديدها وابقاء عبئها على كاهل الاجيال المستقبلة عبئا من واجبنا نحن تحمله . ان تنفيذ تلك المبادىء امر راجع الى ممثليكم، لكن تعاون الرأى العام معهم امر ضرورى . فلتسهيل سبيل الحاكمين فى اداء واجبهم يتحتم عليكم ان تدركوا ان سداد الديون يحتاج الى دخل وان الدخل يقتضى سن الضرائب، وانه ليست هناك ضرائب الا وامرها مزعج غير سار . وان الحيرة التى تقترن بأمر اختيار موضوع الضريبة، واختيارها امر صعب دائما، يجب ان تكون دائما باعثا حاسما لحسن تصرف الحكومة عند سن الضريبة وباعثا على اثارة روح الاقتناع عند الشعب وقبول الاجراءات التى تتخذ لايجاد الدخل الذى تقتضيه حاجيات المصلحة العامة .

وليكن رائدكم فى تصرفاتكم مع الامم الاخرى هو حسن النية والعدالة فتمكنوا روابط السلم والوفاق مع الجميع . ان الدين والاخلاق



وعة من طوابع واشنجتن التذكارية اصدرت سنة ١٩٣٢ (سمح لنا بنشرها محل
انك جودن لمتد) .

ليوصيان بذلك، وهلا كانت السياسة القويمة الا لتوصى به ايضا؟ وانه لاجدر بأمة حرة متنورة ستغدو فى غير زمن طويل امة عظيمة ان تضرب للجنس البشرى فى السخاء مثلا جديدا، مثل شعب كانت العدالة الحقة والعطف دائما رائده . ومن يشك فى انه على مر الزمن والحوادث ان ثمرة مثل تلك الخطة ستكون فى النهاية جزاء طيبا يعوض اى نفع موقت قد يفوته التعلق بها؟ او يعقل امرؤ ان العدالة السماوية لم تجعل بين الرخاء المستمر لاية امة وبين فضائلها روابط؟ ان تجربة تلك الخطة، على الاقل، تجربة تشير بها كل عواطف النبل فى الطبيعة البشرية لكن هيهات ! هل تجعلها رذائل البشر فى حكم المستحيل؟

عظماء المستشرقين من البريطانيين

٢- ادوارد بوكوك

بعد وفاة ميكائيل سكوت بزمن وجيز انتهى عهد ترجمة فلاسفة العرب إلى اللغة اللاتينية ذلك العهد الذى ازدانت قبة العلم فيه بنجوم باهرة كثيرة يسطع بينها سكوت نفسه بقدر ممتاز من البهاء. ونحن نرى ضياءه ينعكس مصغرا فى مؤلفات علماء انجليز مثل أديلارد من مدينة باث ودانيال من مورلى وروبرت من تشستر. وإن الاهمال الذى منيت به الدراسات العربية فى اوربا بعد عهد ميكائيل سكوت يرجع إلى أسباب متعددة نذكر منها أولا أهمها ألا وهو تدهور الثقافة العربية والحضارة العربية اثر غزوات هولاكو خان وجيوشه الجرارة من المغول وما تبع ذلك من خراب أجمل أصقاع العالم الاسلامى. وثانيا فقدان الأندلس وانحلال قوة العرب وعلمهم فى المغرب. وثالثا ما كانت عليه حالة أوربا وأقطار البحر الأبيض المتوسط من اضطراب وعدم استقرار، الأمر الذى حال دون أى اتصال ثقافى أو تجارى مستمر بين الغرب المسيحى والشرق الاسلامى. ورابعا فتح الأتراك العثمانيين للقسطنطينية فى سنة ١٤٥٣ وما أدى اليه هذا الفتح من ذهاب كثير من علماء تلك المدينة إلى أوربا الغربية وإحياء دراسة اليونانية القديمة.

ولكن ما أشرف القرن السادس عشر على الانتهاء حتى تبدلت الأحوال وصارت من جديد مشجعة للقيام بالدراسات العربية فى أوربا. فان التجارة كانت قد استؤنفت بين الغرب والشرق على منوال أعظم بكثير مما كانت عليه فى أى عصر سابق. وأينما مخر التجار الأوربيون عباب البحار وجدوا أنهم مضطرون إلى التعامل مع التجار العرب. ولقد صدق وليم بدول حين قال فى سنة ١٦١٢ إن اللغة العربية هى اللغة الوحيدة للدين واللغة

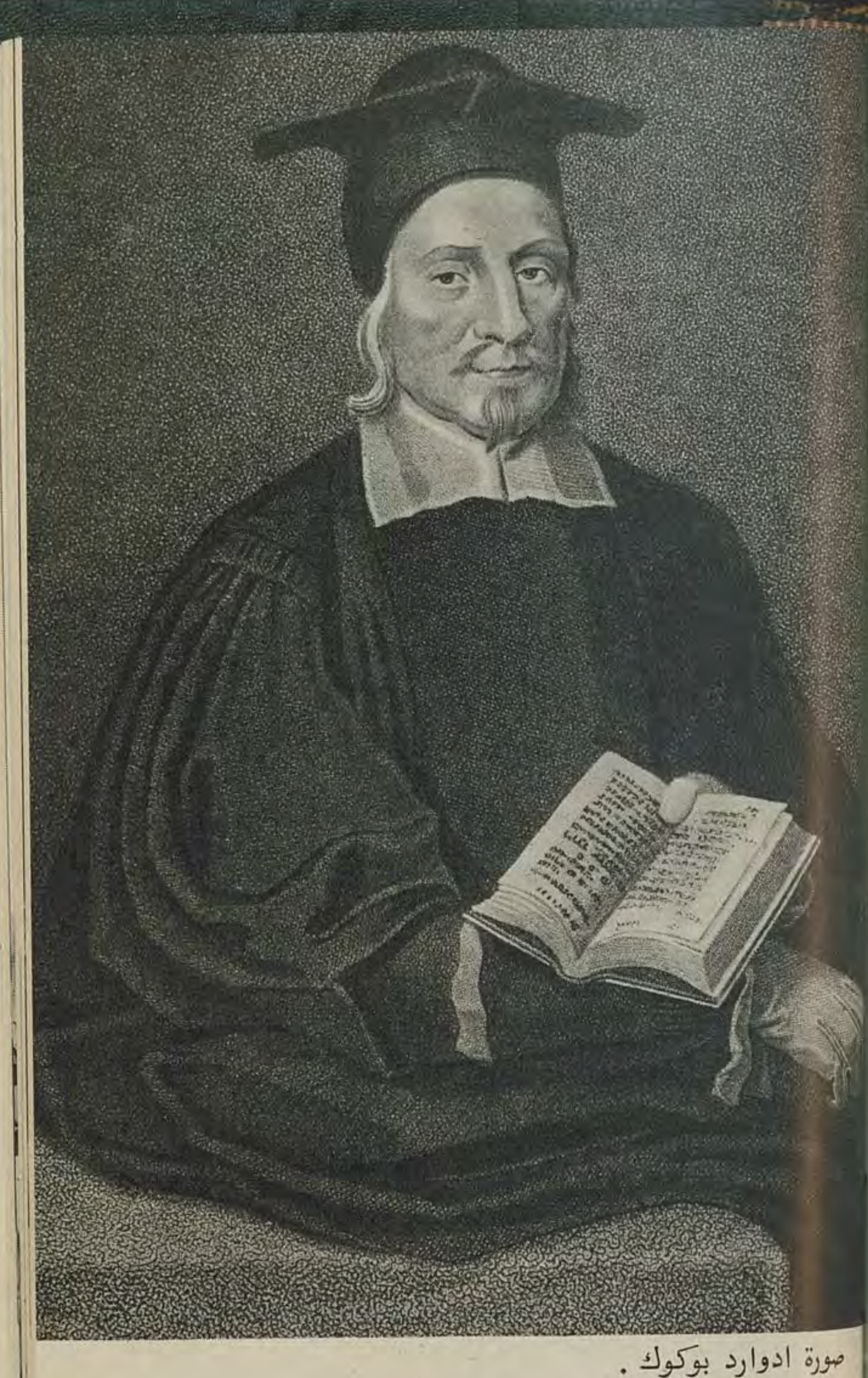
الأساسية لشئون السياسة والعمل من الجزائر السعيدة إلى بحار الصين، وإنه لذلك يحرض معاصريه على دراستها. وبنوع خاص نجد أن إنشاء شركة السواحل الشرقية للبحر الأبيض فى سنة ١٦٠٥ (واسمها الكامل مدير التجار الانجليز وشركتهم فى المتاجرة مع السواحل الشرقية للبحر الأبيض) إنشاء هذه الشركة جلب التجار البريطانيين إلى سواحل سورية ومدنها حيث استكشفوا حضارة عربية لا تزال مزدهرة.

فى هذا العصر الجديد المفعم بالآمال ولد فى اكسفورد فى اليوم الثامن من نوفمبر سنة ١٦٠٤ إدوارد بوكوك ذلك الذى قدر له أن يصير أعظم بحاثة فى العربية فى القرن السابع عشر، وكان والده المسمى أيضا إدوارد بوكوك قسيسا كان قد صار زميلا لكلية مجدلين من سنة ١٥٩١ إلى سنة ١٦٠٤ ثم صار قسيس تشيفلى وهى قرية صغيرة فى مقاطعة بركشير، وفى هذه البيئة الريفية الجميلة شب طفله الصغير، وتلقى هذا الذى سيصير مستشرق المستقبل أول تعليم له فى المدرسة المجانية فى ثيم فى مقاطقة اكسفوردشير ثم تقدم إلى قاعة مجدلين فى ٤ يونيه ١٦١٩ وفى السنة التالية غادرها إلى كلية كوربس كرستى التى قررت إعطاءه معونة مالية لدراسته. وأصبح طالبا جامعيا فى سنة ١٦٢٢ ثم حصل على الماجستير فى الآداب فى سنة ١٦٢٦ وانتخب زميلا لكلية كوربس فى ١٦٢٨ وفى ٢٠ ديسمبر ١٦٢٩ صار قسيسا.

اتبع بوكوك النظام المعهود الجامعى الذى تحتل فيه دراسة اللاتينية واليونانية أهم مكان ولكنه الى جانب ذلك بدأ يتعلم العربية على ماثياس باسور وهو ألمانى هرب من مسقط رأسه وجاء ليسكن إذذاك فى اكسفورد. ولما تعلم بوكوك كل ما استطاع باسور أن يعلمه يمم وجهه شطر وليم بدول أكبر عالم بالعربية فى انجلترا وكان قسيسا فى حى توتنهام قرب لندن. وهكذا كان بوكوك قد رسخت قدمه فى علم العربية حين عين فى سنة ١٦٢٩ فى منصب خال فى (جماعة تجار تركيا) فى حلب ووصل إلى المدينة المذكورة فى اكتوبر ١٦٣٠ وقد عاش فى حلب خمس

سنوات ووصل بمعرفته للعربية الفصحى إلى درجة الكمال كما تعلم التحدث باللغة الدارجة بطلاقة تامة . وكان أهم معلميه رجلا يسمى الشيخ فتح الله ونمت بين الاثنين صداقة عميقة . وقد استغل بوكوك اقامته فى هذه الأصقاع فتعلم إلى جانب ذلك العبرانية والسريانية والحبشية والسامرية على خير المعلمين هناك . وفى سنة ١٦٣٤ اكتسح سورية وباء عظيم وفر أغلب تجار حلب إلى الجبال من ذلك النكال الشنيع الذى هدد المدينة المزدحمة ولكن بوكوك بقى فى مكانه بعزم وكوفىء على شجاعته إذ لم يصبه الوباء . وفى اثناء إقامته بحلب اشترى عددا عظيما من المخطوطات فى مختلف اللغات الشرقية ثم إنه ترجم مجمع الأمثال للميدانى (المتوفى ٥١٨ هـ — ١١٢٤ م) والمخطوطة المحتوية على ترجمته بخط يده هى الآن محفوظة بالمكتبة البودلية فانه رفض أن يسمح بنشرها إذ لم يعتقد أنها صالحة للنشر ولكن المستشرق الهولندى شولتنز قام فى سنة ١٧٧٣ و ١٧٧٥ بطبع أجزاء من الترجمة .

حوالى هذا الوقت دار بخلد الأسقف الانجليزى العظيم لود رئيس أساقفة كانتربرى فكرة إنشاء منصب لتدريس العربية فى اكسفورد . ولود نفسه لم يكن على علم بالعربية فى أغلب الظن ولكن الأوساط الدينية فى انجلترا كانت مهتمة أشد الاهتمام باحياء الدراسات الشرقية ولعل لنا أن نذكر هنا بنوع خاص اسم لانسلوت اندروز الذى كان رئيساً لكلية بمبروك بكمبردج ثم أسقفا لونتشستر ولا شك أنه كان يعرف العربية وقد شجع وليم بدول فى دراساته . وكان بوكوك قد سبق له أن اجتذب اليه انتباه لود باشتهاره بالعلم الشرقى وحسن أدائه لواجبه فلم يكن غريبا أنه دعى للرجوع إلى اكسفورد لغرض إحياء التعليم العربى فى تلك الجامعة . وكان مرتبه كاول أستاذ (لودى) اربعين جنيها فى السنة . وكان منتظرا منه أن يلقى محاضرة عن أدب اللغة العربية ونحوها تستمر ساعة وتبدأ فى الثامنة صباحا كل أربعاء طول فترة الصيام المسيحى وأيضا خلال العطلة الجامعية وكان على كل الحاصلين على ليسانس الآداب أن يحضروا دروسه .



صورة ادوارد بوكوك .

وألقى بوكوك محاضرة الافتتاح فى ١٠ أغسطس ١٦٣٦ وكانت محاضرة عن طبيعة اللغة العربية والأدب العربى وأهميتهما وقد طبع هذا الحديث بعد ذلك فى سنة ١٦٦١ وكان موضوع الدروس الأولى أقوال على رضى الله عنه .

وفى سنة ١٦٣٧ رحل بوكوك مرة ثانية إلى الشرق مصحوبا هذه المرة بوليم جريفز أستاذ الفلك فى اكسفورد وكان هو نفسه علامة فى العربية والفارسية وقد أقام بوكوك فى القسطنطينية من ديسمبر ١٦٣٧ إلى أغسطس ١٦٤٠ وتلقى العلم على خير المعلمين الذين كانوا إذذاك فى تلك المدينة . ولما عاد إلى انجلترا فى اوائل سنة ١٦٤١ وجد وطنه قد تقسمته الحروب الأهلية ووجد ناصره ومعضده لود سجينا فى برج لندن وامتازت السنوات التالية بأشد الخلافات السياسية والدينية التى انتهت فى سنة ١٦٤٩ باعدام الملك شارلس الأول وبتأسيس الجمهورية تحت رئاسة اوليفر كروموبل . وإذ كان بوكوك صنيعة للود فقد ظل سنوات كثيرة ضحية الاضطهاد السياسى وفى سنة ١٦٤٢ عين قسيسا لتشيلدرى فى مقاطعة بركشير وفى سنة ١٦٤٦ تزوج مارى بيردت فولدت له ستة أبناء وثلاث بنات .

ولما كان الأسقف لود حريصا على ألا يؤدى سقوطه من سلطته إلى زوال كرسى الأستاذية الذى أنشأه فانه لذلك نجح فى جعل المرتب المربوط بهذا الكرسى وديعة مضمونة تمدها الضياع التى أوقفها على هذا الغرض . ولكن أعداءه برغم ذلك نجحوا فى الاستيلاء على مربوط الكرسى فى سنة ١٦٤٤ ومرت سنوات ثلاث قبل أن يستعيد بوكوك حقوقه . ثم فى سنة ١٦٤٨ خلا كرسى أستاذية الملك فى اللغة العبرية وكان تابعا لهذا الكرسى منصب دينى فى كنيسة المسيح فى اكسفورد، فقام الملك شارلس الأول الذى كان إذذاك سجينا فى قلعة كاريز بروك باختيار بوكوك لملأ هذا الكرسى الذى كان مربوطه فى تفاهة المرتب المربوط بأستاذية اللغة العربية وإن كان المنصب الدينى يجلب

على شاغله حق السكنى فى بضع حجرات فى كلية كنيسة المسيح . ولكن بوكوك لم يتح له أن يبقى طويلا متمتعا بهذه الميزة الجديدة فانه طرد فى سنة ١٦٤٩ من المنصب الدينى واضطر إلى إخلاء مكانه ليحتله بطرس فرنش صهر اوليفر كرومويل .

كانت الجمهورية إذذاك قد أسست ووجد كثير من علماء اكسفورد وكمبردج أنفسهم وقد حرموا فجأة من الوسائل التى تمكنهم من الاستمرار فى عملهم الذى كرسوا له حياتهم إذ أستولى على مناصبهم آخرون من الذين كانت آراؤهم السياسية مقبولة لدى النظام الجديد . وكان بوكوك قد قاسى كثيرا وما كان له رجاء فى المستقبل وفى هذا الوقت العصيب من محنته كتب إلى صديق له فى ٣٠ نوفمبر ١٦٥٠ «لقد علمتنى التجربة شيئا جعلته المبدأ الذى لا يتبدل لروحى وهو أن أسالم كل الناس ما استطعت إلى ذلك سبيلا وأن أقوم بفروض التبجيل والطاعة للسلطات العليا وأن أتجنب كل ما هو أجنبى عن مهنتى ودراساتى ولكن قيامى بأى شىء فيه أقل تعكير لراحة ضميرى هو عمل يكون أسوأ على نفسى وقعاً ليس فقط من خسارتى ثروتى بل من فقدانى حياتى » . ولم يمر وقت قليل حتى رزىء بكارثة جديدة إذ بعد عدة أيام صدر أمر بحرمانه من كرسيه ولكن هذا العمل المنطوى على الظلم الفاضح دفع كل علماء العصر إلى التألب على نصره وإنصافه فكتبوا التماسا لاعادته إلى منصبيه وصفوه فى هذا الملتمس بأنه «رجل ذكى المحادثة حسن العشرة متفقه فى اللغات الشرقية إلى درجة فائقة وأنه فخار عظيم لهذه الجامعة » وقد صادف التماسهم نجاحا كبيرا إذ سمح لبوكوك بالعودة إلى استاذية العربية والعبرانية ولكن المنصب الدينى ظل محرما عليه .

ولكن هذا لم يكن نهاية متاعبه فانه إذ لم يسمح له بالسكنى فى كلية كنيسة المسيح عاش فى تشلدرى وحين جاء إلى اكسفورد لالقاء محاضراته أعطى حجرة فى كلية باليول . وكان ساكنو حيه فى تشلدرى فى أغلبهم ريفيين قليلى الحظ من العلم فلم يكن من المحتمل أنهم



صورة لشجرة التين التى غرسها إدوارد بوكوك .

يقدرون ميزات هذا العالم الكبير الذى يقوم بالاشراف على حوائجهم الروحية . وفى سنة ١٦٥٥ عينت حكومة كرومويل لجنة لغرض البعث عن «كل رجال الدين الجهلاء ذوى السلوك المخجل العاجزين عن أداء واجبهم أو المهملين له » وطردهم من مساكنهم الكنسية . وليس هناك شك أن الدافع إلى هذا القرار كان من أسمى الدوافع فانه كان سلوك رجال الكنيسة فى ذلك العهد محلا لقدر كبير من النقد . ولكن المرسوم البرلمانى الذى ألف هذه اللجنة انتهزه بطبيعة الحال الدساسون السياسيون كفرصة

للتخلص من أعدائهم . أما بوكوك فقد اشتكى منه عدة من أفراد دائرة كنيسته . ولم تبرأ ساحة بوكوك من هذه الاتهامات الشنيعة إلا بعد محاكمة استمرت شهورا عدة دافع فيها عنه جون أوين وغيره من كبار العلماء من اكسفورد وحذروا القضاة مما سيحل بهم من العار لو قرروا بادانة رجل ذاع صيته فى كل أنحاء أوربا كأكبر مستشرق فى عصره وألصقوا به تهمة « الجهل وعدم الكفاية والاهمال » .

كل هذه المتاعب والكوارث الشخصية لم تؤثر فى حمية بوكوك وشغفه بالتعلم والبحث بل إنها على العكس زادت من نشاطه وحماسته حتى نشر فى سنة ١٦٤٩ الثمرة الأولى لأبحاثه الطويلة المضنية فى الحضارة العربية وكان هذا طبعه لمختارات من كتاب المختصر فى الدول لأبى الفرج (المتوفى ٦٨٩ هـ — ١٢٨٩ م) مع ترجمة لاتينية يتبعها أبحاث فى الدين الاسلامى والتاريخ الاسلامى وفى علوم العرب وآدابهم . وكان هذا الكتاب خطوة واسعة تقدمت على كل ما كان قد كتب قبله فى أوربا عن هذه الموضوعات وظل لسنين طويلة أفضل مرجع وقد أعيد طبعه فى اكسفورد سنة ١٨٠٦ . وبهذه المناسبة لعل من الشائق أن نلاحظ أن كتاب بوكوك الذى طبع بعنوان (المختار من تاريخ العرب) لا يكاد يكون شك فى أنه أول نص عربى طبع فى اكسفورد . وقد بدأ بوكوك من سنة ١٦٥٠ يخصص أغلب وقته لدراساته العبرانية وفى سنة ١٦٥٥ نشر أول كتاب عبرانى من طبعة اكسفورد . ثم إنه قام بأثمن المعاونة فى تحضير طبعة لندن المتعددة اللغات للكتاب المقدس للمسيحيين وقد طبعت بين سنتى ١٦٥٥ و١٦٥٧ واحتوت على نص الكتب الدينية المسيحية فى اللغات العبرانية واليونانية واللاتينية والعربية والفارسية والكلدية والحبشية والسريانية والسامرية . وفى سنة ١٦٥٩ نشر بوكوك مقالة عن (طبيعة مشروب القهوة) بناها على كتاب عربى فى الطب . وبهذه المناسبة نذكر أنه كان شديد الشغف بالقهوة إذ استحسنها ذوقه فى طول إقامته بالشرق . وقد نسب أصدقاؤه ما أصاب يديه من الشلل فى سنيه الأخيرة إلى إكثاره

الزائد من تناول هذا المشروب الذى لم يكن مألوفا لديهم .

فى سنة ١٦٦٠ سقطت الجمهورية وأعيد بيت ستيوارت الملكى فأدى ذلك إلى عودة بوكوك إلى اكسفورد حيث أقام إلى انتهاء حياته، وأعيد إليه منصبه الدينى فى كنيسة المسيح حيث عاش إلى آخر أيامه مع أسرته فى الحجرات الفسيحة التى لا تزال موقوفة على من يخلفه فى هذا المنصب. وكان بوكوك قد غرس فى حديقة سكنه الكنسى فى تشلدرى شجرة ارز جلبها معه من سورية. ولا تزال هذه الشجرة قائمة اذ نمت نماء بديعا. وقد سجل إقامته فى كلية كنيسة المسيح بأن غرس فى حديقته الخاصة شجرة تين سورية وأغصان هذه الشجرة تتفرع الآن كاملة النماء على الحائط الشمالى المرتفع وتمتاز بأنها شجرة التين القديمة الوحيدة التى لا تزال نامية فى انجلترا، ثم إنها لا تزال تؤتى أجود ثمر ويلفت نظر الزائرين إليها فى فخار.

فى سنة ١٦٦١ نشر بوكوك نص لامية العجم للطغرائى (المتوفى سنة ٥١٥ هـ — ١١٢١ م) مصحوبا بترجمة لاتينية وشروح، وبعد ذلك بعامين أصدر النص الكامل للمختصر فى الدول مع ترجمة لاتينية كاملة. وفى سنة ١٦٦٣ أصيب بمرض وبيل ومع أنه عاش سنوات كثيرة بعد ذلك فانه أقعده المرض وما برح يقاسى الآلام ولكنه برغم ذلك واصل دراساته وتأليفه باجتهاد لا تفتر حماسته باذلا معظم مجهوده على النص العبرى لأسفار العهد القديم وإلى جانب ذلك كان يحسن معرفته للعربية بترجمة المؤلفات الدينية للكنيسة الانجليزية إلى هذه اللغة .

أسلم إدوارد بوكوك الروح فى اليوم العاشر من سبتمبر سنة ١٦٩١ وقد بلغ السادسة والثمانين من عمره ودفن فى كنيسة المسيح حيث نصب لذكراه تمثال نصفى . ويوجد لهذا العلامة الكبير صورتان فى المكتبة البودلية إحداهما له وهو شاب والأخرى وقد تقدم به العمر والمكتبة البودلية تحتوى أيضا على المخطوطات التى جمعها لنفسه فى سورية وتركيا ومجموعها اربعمائة وعشرون مخطوطة ابتيعت من ورثته فى سنة ١٦٩٣ مقابل ستمائة جنيه، وبالاضافة إلى هذه المجموعة القيمة قد أغنى بوكوك

تلك المكتبة بما اشترى من مخطوطات للاسقف لود إذ أوصى هذا بتركها للجامعة . ومخطوطات بوكوك هى أثمن الكنوز العربية فى المكتبة البودلية إذ أنه كان فى شرائه واسع العلم فطن التمييز وما ابتاع أبدا ما هو غث أو ضئيل القيمة .

تمتع بوكوك فى حياته بشهرة معدومة النظير كاعظم مستشرق فى عصره وقد كان يستشيره العلماء من كل أنحاء أوربا فى مسائل البحث العويصة كما كان يزورونه فى اكسفورد، وقد عدد هو كثيرا من مشاهير رجال الأدب والعلم ممن كانوا أصدقاءه وهم كانوا كما رأينا على أهبة مستمرة للشهادة بما له من كفاية وشخصية . وإن أعمق تقريظ لعظمته قد كتبه الفيلسوف الانجليزى الذائع الصيت جون لوك (المولود سنة ١٦٣٢ م والمتوفى سنة ١٧٠٤ م) وهو مؤلف «مقالة عن الفهم الانسانى» فقد كتب إلى أحد أصدقائه فى ٢٣ يوليه ١٧٠٣ م العبارات التالية التى نقتبسها كافضل خاتمة لمقالنا المختصر هذا عن حياة بوكوك . قال جون لوك :

« كثيرا ما كان يصمت صمت المتعلم وإن كانت له معرفة الأستاذ . . . وما كان رجلا شاذ الشهوات فان كانت له شهوة أشبعها كل الاشباع فما تلك الا شهوته للدراسة وكثيرا ما اشتكت منها زوجته شكوى لا أظنها بغير مبرر، وما أخمد من هذا الميل شيخوخته وضعف صحته . ومع أنه كان رجلا تام الاعتدال فيما يتعلق بنفسه بعيدا عن التصنع والغرور فى حياته فانه كان ذا أريحية ميالا إلى السخاء والجود إلى درجة ربما فاقت اولئك الذين ما كان جودهم إلا حبا فى الظهور والشهرة الطنانة وخاصة إذا اعتبرنا ضآلة ثروته واتساع أسرته من الأطفال الذين كان عليه أن يعولهم . وشهرته التى تجاوزت البحار باستحقاق وجدارة قد جلبت إليه زائرين من بين جميع رجال العلم من الأجانب جاءوا إلى اكسفورد ليروا تلك الجامعة وكانوا دائما يعودون وقد أعجبوا أعظم الاعجاب بعلمه الغزير وبأدبه الجم الذى كثيرا ما كلفه مالا وكان أبداً بشوش الوجه بشاشة

لا تكلف فيها وما حدث قط أن عبر عما ناء به فؤاده من الذى عاناه من الاهمال والجحود . . . وما كان قليل العلم بالدنيا وإن كان لم يتخذ ذلك وسيلة للتظاهر . . . والحق أقول انى لم أعرف شخصا فى تلك الجامعة أحببت استشارته فى أى شأن يتطلب إنعام النظر مثل ما أحببت استشارته هو ولا عرفت امرأ رأيه أجدر باستماع من رأيه إذا أمكن دفعه إلى الاهتمام بالمسألة وإبداء النصح فيها . وما أتذكر فى كل أحاديثى معه أننى رأيته مرة واحدة وقد تملكه الغضب أو استثير إلى حد تغير معه لونه أو تبدلت سحنته أو رنة صوته . ولقد يحدث أحيانا من الحوادث والأعمال ما يستدعى الامتعاض فذلك شيء ما منه بد ولكنى لم أر شيئا من هذا النوع يدفعه إلى كلمات منفعلة دعك من التعنيف والصياح . فحياته بدت لى وكأنها حياة دائمة الهدوء . ولا بد أنك قد سمعت من آخرين كيف كان صبره عظيما فى عرجه الطويل الخطر الذى استلزم عمليات شديدة الهول بالغة الألم . وقد تصادف أنى كنت غائبا عن اكسفورد فى ذلك الحين ولكنى سمعت ما أنا منه واثق بأن تلك الفترة من حياته كانت فى سمو الفترات الأخرى وروعتها . وختاما أستطيع أن أقول عنه ما لا يستطيع الكثيرون أن يقولوا عن أى صديق لهم وما لا أستطيع أنا أن أقول عن أى صديق آخر لى : إننى ما رأيته مرة واحدة يعمل عملا يستدعى منى اللوم او يأتى بما ظننته غير لائق به . »

أ . ج . آ .

★

اللّغة الصّينيّة

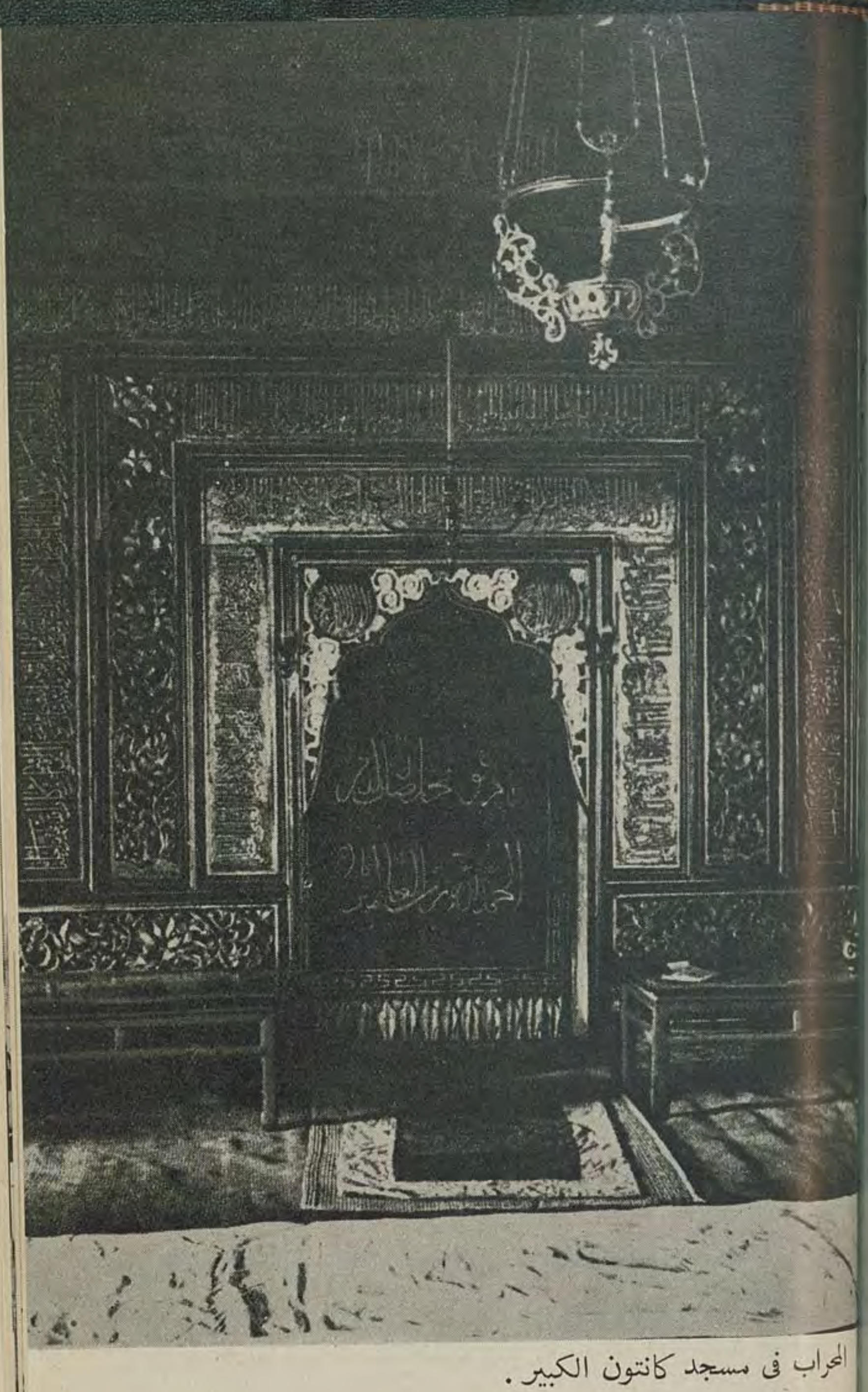
بقلم الدكتور جايلز

لو أن رجلا على نصيب من العلم أخبرنا أنه يتعلم اللغة الفرنسية لما فكرنا فى أن نسأله هل هو يتعلم الفرنسية الدارجة أو الفرنسية الفصحى، فان كلتا هاتين تكاد لا تختلف عن الأخرى، ولكن كثيرا من الناس يدرسون كيف يتحدثون باللغة الصينية بطلاقة دون أن يكون عندهم أقل فكرة عن كيفية كتابة الحروف التى تؤدى هذا النطق، والعكس صحيح، أى أنه من الممكن أن نقرأ صفحة من اللغة الصينية دون أن نستطيع النطق بكلمة واحدة من الكلمات فى هذه الصفحة، فالحق أن اللغة الصينية التى يتحدث بها تكاد تكون لغة مستقلة متميزة عن اللغة الصينية التى يكتب بها . وبينما لغة الحديث من أسهل اللغات فى الدنيا إذا بلغة الكتابة أشد لغات الدنيا صعوبة بدون أدنى شك، فاذا أردنا أن نفهم كيف كان هذا وجب علينا أولا أن نتبين خصائص كل من اللغتين .

أما اللغة الصينية الدارجة فالكلمات فيها ذات مقطع واحد، وهذه ظاهرة نجدها فى كل لهجات هذه اللغة الدارجة وإن اختلفت هذه اللهجات عن إحداها الأخرى فى النطق أشد اختلاف . ونطق هذه المقاطع يمكن أن يعبر عنه على وجه التقريب بالحروف اللاتينية . وتوجد طرق متعددة لكتابة تلك الأصوات الصينية بالحروف اللاتينية . وأكثر هذه الطرق انتشارا فى انجلترا طريقة «ويد» (Wade) التى تكتب بها اللهجة البكينية أو المندرينية الشمالية، ولذلك سنستعمل هذه الطريقة فى مقالتنا هذه . وفى هذه الطريقة ينطق بحروف الصوت

كما فى الانجليزية بينما ينطق بحروف الحركة كما فى الايطالية . وهكذا (li) تنطق لى (lee) وكذلك (chu) تنطق تشو(choo) . ويلعب حرف النفس دورا هاما فى لغة الحديث، وهو الحرف المقترن باخراج التنفس بين الصوت والحركة، ومثال ذلك فى كلمة (t'ien) تيين ومعناها السماء . وظاهرة أخرى هى أن الكلمات الصينية خالية من الاعراب ومن التركيب وإن كان يوجد دلائل عل وجود أحوال الاعراب فى الضمائر منذ ألفى سنة . ولكى يفهم الانسان جملة صينية يلزمه أن يستعين بالترتيب المنطقى للكلمات وبالاصطلاح وبالأرجحية وبالذكاء الطبيعى . فمثلا (ابن للسماء) أو (ابن السماء) و (ابن سماوى) كلها يعبر عنها (t'ien tzu) تيين تسو . ولكن إذا ما لزم أمكن اضافة كلمة (ti) تى للدلالة على حالة الجر . واللغة الانجليزية كذلك قد فقدت معظم أحوال الاعراب ولكن اللغة الصينية قد خطت فى هذا الطريق خطوات أوسع حتى يمكن أن يقال إنها تكاد لا تحتوى على قواعد الصرف والنحو من أى نوع .

وثم ظاهرة أخرى كان لها تأثير شديد الأهمية هى أن عدد مقاطع الصوت فى هذه اللغة صغير جدا بل هو أقل بكثير من عدد الكلمات ذات المقطع الواحد فى اللغة الانجليزية . ففى اللهجة الكانتونية التى تحتوى على عدد أكبر مما فى أى لهجة أخرى يوجد ٨٠٠ مقطع مختلف بينما اللهجة البكينية وهى أقل اللهجات مقاطع لا تحتوى إلا على ٤٢٠ مقطعا . ولما كانت مهمة هذه المقاطع أن تعبر عن آلاف الكلمات فانه من الواضح أنها لا تكفى بنفسها وأن كثيرا من الكلمات ذات المعانى المختلفة لا بد أن يكون لها نطق واحد . ونحن نجد أمثلة لهذه الظاهرة فى الكلمات الانجليزية pear و pare و pair ولكن هذا فى اللغة الانجليزية استثنائى بينما هو فى الصينية هو القاعدة واستعماله اكثر بكثير . فالمقطع (fu) فو له عشرات من المعانى المختلفة فمثلا من معانيه زوج، وأب، وزوجة، وولى، وقصر، وملابس، وجلد، وفأس، ومرجل،



المحراب فى مسجد كانتون الكبير .

وهكذا
ب حرف
التنفس
معناها
لاعراب
لاعراب
لزمه أن
وبالذكاء
ى) كلها
ن اضافة
د فقدت
الطريق
ى قواعد

د مقاطع
الكلمات
رنية التى
ع مختلف
لى ٤٢٠
ات فانه
ت المعانى
الظاهرة
الانجليزية
بكثير .
يه زوج،
ومرجل،

وسعادة، وغنى، والمساعدة، والربط، والنفض، والالتصاق، وأيضا، وصريع، وإلى جانب ذلك معان أخرى كثيرة. وبديهى أن هذا يؤدى إلى ارتباك مطبق إلا أن هنالك عوامل تخفف من خطر هذا الخلط والتشويش. وأول هذه العوامل أن فى طبيعة كل كلمة صينية نبرة موسيقية أو نغمة ينطق بها الصينى نطقا طبيعيا لا يشعر هو به، ولكنها كافية للتمييز بين كلمات متشابهة نطقا من الوجوه الأخرى، وفى اللهجة الكانتونية يوجد تسع من هذه النغمات بينما أنزلتها اللهجة البكينية فى مراحل تطورها إلى أربع نغمات فقط. وهكذا إذا عدنا إلى الكلمات التى تنطق (fu) فو وجدنا أن اثنتين منها تنطق بالنغمة الأولى وخمسا بالنغمة الثانية وثلاثا بالنغمة الثالثة وسبعا بالنغمة الرابعة.

ومع أن وجود هذه النغمات يقلل بعض الشىء من عدد الكلمات التى تنطق نطقا واحدا بالضبط فانه من الواضح أن المتكلم لا يزال فى حاجة إلى اكثر من ذلك إذا اراد أن يفهمه السامع فهما جليا. وتوجد حيل كثيرة لهذا الغرض اهمها الكلمة المزدوجة وكيفية هذا أن كلمتين بسيطتين لها نفس المعنى تقريبا تقرن إحداها بالأخرى فمثلا kan—chien (كان—تشيين) معناها الحرفى (انظر—أبصر). أو أن الكلمة تكرر فمثلا (man—man) (مان—مان) معناها (ببطء) أو أن يضاف مفعول يفسر الفعل فمثلا (التحدث) يعبر عنه بكلمتى (shuo hua) أى (يتكلم حديثا) وأيضا (يأكل) يعبر عنه بكلمتى (ch'ih fan) (تشيه فان) ومعنى هذا (يأكل طعاماً) وكذلك (يقرأ) تصير (tu shu) (تو شو) أى (يقرأ كتابا). ثم هناك أيضا اللواحق (tzu) تسو، و (t'ou) تو، و (erh) اره وهذه اللواحق قد فقدت معناها الأصلى وأصبحت تدل على الأشياء المادية بكل أنواعها. فمثلا (tao tzu) تاو تسو معناها سكين و (shih—t'ou) شيه—تو معناها حجر و (hua erh) هوا إره معناها زهرة. أضف الى ذلك أن اللغة الصينية غنية فى أسماء العدد وهذه تسبق الأسماء وكثيرا ما تساعد على فهم

طبيعتها، فمثلا نسمع الناس يتحدثون عن (بئر) فيقولون (i k'on ching) إى كون تشينج ومعنى هذا الحرفى (واحد فم بئر) ومثال آخر (ذلك الجبل) يعبر عنه هكذا (na tso shan) نا تسو شان ومعنى هذا الحرفى (ذلك المكان الجبل).

بهذه الوسائل وبغيرها تغلب على خطر الالتباس فى الصينية الدارجة وإذا استثنينا النغمة تلك التى قد يجدها المتعلم الأجنبى عقبة كأداء فانها لغة سهلة التعلم. أما الصعوبة التى توجد فى قراءة اللغة الصينية أو كتابتها فسببها الأساسى أن شيئا فى طبيعة حروف الأبجد لم ينشأ فى هذه اللغة أبدا وأن الخط رمزى وليس تصويرا للنطق، وهذا يمكن اعتباره من احدى وجهات النظر نعمة لا نقمة فان قلة الأصوات التى سبق لنا الكلام عنها كان من مؤداها أن يصعب التمييز بين كلمات كثيرة، ولكننا نجد كل حرف صينى وحدة مستقلة بذاتها تعبر عن كلمة ذات مقطع واحد منطوق ولكن ليس لها قيمة صوتية فى حد ذاتها. ويمكننا أن نضرب مثلا لذلك الأرقام العربية كما تكتب فى اللغات الأوربية ,3 ,2 ,1 الخ. وتؤدى نفس المعنى فى مختلف اللغات ولكن ينطق بها one, two, three, كما فى الانجليزية أو ,un, deux, trois كما فى الفرنسية.

وقد كانت الكتابة الصينية فى الطور الأول من وجودها عبارة عن صور بسيطة وقد بقى بضع مئات من هذه الصور إلى الآن وإن كانت فى شكلها الحالى لا يستطاع إدراك طبيعتها التصويرية، والحروف التى من هذا النوع والتى نستطيع أن نصطلح على تسميتها pictograms أى الكتابة التصويرية يعبر أغلبها عن كائنات طبيعية مثل الشمس التى تكتب (日) والقمر الذى يكتب (月) والجبل (山) والشجرة (木) والثور (牛) والغنم (羊) والحصان (馬) والطائر (鳥) والسمكة (魚) وكذلك الرجل (人) والمرأة (女) والطفل (子) وأصل الكلمة الأخيرة (♀) وهى وليد رجلاه ملفوفتان. وكذلك أجزاء الجسم كالعين (目) والأذن (耳) والفم (口) واليد (手) أضف إلى ذلك أشياء



امرأة ريفية صينية تملى على كاتب خطابات عمومى رسالة إلى أقاربها .

كثيرة متنوعة مثل البـاب (門) والعربة (車) والحقول (田) وغير ذلك . وهنـاك كتابة تصويريـة ليست فى بسـاطة السابقة ومثل ذلك الفاكهة 果 (على شجرة) والـقلم أو الريشة 聿 (مع يد ممسكة به) والمطر 雨 (قطرات ساقطة من سحب فى السماء) والموسيقى 樂 (طبل وأجراس على مقعد) بينما نجد كلمات أخرى مثل الأب 父 (يد ممسكة بعصا) أوحلو 甘 (فم فيه شىء ما) تمهد الطريق لتطور جديد يستطاع به التعبير ليس فقط عن الأشياء المادية بل عن الأفكار المعنوية أيضا . وإذا جمع بـين صورتين عبر بهما معاً عن كلمة مركبة معنوية فالشمس والقمر جنبا إلى جنبٍ يشيران إلى فكرة الضياء (明) والأم والطفل معاً يعبران عن الحب (好) ورجل على حافة هوة يعبر عن الخطر (危) ويد تظلل العين معناها ينظر (看) ومن الغريب أن شاة فخمة كانت تعبر عن فكرة الجمال كما يظهر (美).

ولكن تكوين الخط من مجرد الكتابـة التصويريـة والمعنويـة شىء يتطلب قـدرا عظيمـا مـن الذكاء الانسانى كما أن استعمال هذا الخط حين تكون يتطلب قدرا عظيما من الذاكرة الجيدة . وبرغم أن الصينيين

لم يكن لديهم أية فكرة عن حروف أبجدية فانهم أحسوا بالحاجة إلى نوع ما من العلاقة ترتبط بها الحروف المكتوبة مع أصواتها . وإليك كيف حلوا هذه المشكلة . قد رأينا أن لكل مقطع عددا من المعانى المختلفة، فمقطع fang فانج لم يكن معناه (مربع) فحسب بل أيضا بيت ومكان وغلاية وفجر والغزل والاطلاق والسؤال وزكى وأشياء أخرى كثيرة فللتعبير عن مربع اتخذ هذا الرمز (方) ولكن من الواضح أن هذا الرمز لا يكفى وحده للتعبير عن كل المعانى الأخرى أيضا، ولذلك أضيفت إليه صور متعددة تدل على وجه التقريب على نوع الأشياء التى ينتمى إليها كل فانج . وهكذا صار البيت (房) أو فانج الباب، والمكان صار (坊) أى فانج الأرض، والغلاية (鈁) أى فانج المعدن ، والفجر (昉) أى فانج الشمس والغزل (紡) أى فانج الحرير وهلم جرا . وهذه الحروف تسمى phonograms اى صور نطقية لأنها تقوم على عنصرين أحدهما النطقى الذى يعمل كدليل على الصوت بينما العنصر الآخر يدل على المعنى. وهذا العنصر الآخر يسمى (radical) أى الجذر أو الأصل ولكن كان من الأفضل أن يسمى المحدد أو المميز. وأقدم قاموس للغة الصينية مرتب إلى ٥٤٠ جذرا ولكن هذا العدد أنقص تدريجا إلى ٢١٤ .

أما العناصر النطقية فعددها يبلغ زهاء الألف وبعضها يختص بالحروف المنتمية إلى مجموعة صوتية واحدة . ولكنها تختلف فى كتابتها مثلا فى (扶) فو معناه المساعدة و (拂) فو معناه النفض و (傅) فو معناه الولى و (府) فو معناه القصر و (福) فو معناه السعادة و (斧) فو معناه الفأس . ويمكننا أن نلاحظ أن الحرف الآخير مكون من عنصرين .أحدهما (父) والآخر (斤) كل منهما يستطاع استعماله إما كجذر وإما كعنصر نطقى باختلاف الأحوال وهكذا يتبدى لنا ان هذه العناصر ليست مانعة أحدها للآخر. والعناصر النطقية الحالية ترجع إلى عهد قديم فى تاريخ اللغة حين كان كثير من الأصوات التى

يعبر بها عنها مختلفة عما هى الآن . فمثلا (弗) فو مع جذر الرجل صارت (佛) فو fo (بوذا) ومع جذر الماء صارت (沸) فى (يغلى أو يبقبق). وفى بعض الأحوال تختلف المشتقات أحدها من الآخر فى صوتها إلى حد أن العنصر النطقى لم يعد له أى قيمة عملية فمثلا (聿) يو هو العنصر النطقى لحروف تقرأ بى وشو وتشاو وبوا وتشينج . ولكن هذه المتناقضات ترجع فى أغلبها إلى أخطاء ارتكبها مصنفو القواميس فى تصنيفهم إذ اعتبروا جذرا ما هو فى حقيقته عنصر نطقى والعكس بالعكس . وبرغم هذه العيوب الصغيرة كان لادخال العنصر النطقى أعظم الأهمية فى خلق حروف جديدة وبالتالى فى توسيع اللغة المكتوبة إلى مدى لا يكاد يحد . والواقع أن زهاء تسعة أعشار المجموع الكلى للحروف الصينية من نوع الـ phonogram أى الصور النطقية . ونتج من هذا عرضاً أنه أصبح من الممكن تأليف القواميس . فبرغم أن الكتابة التصويرية والكتابة المعنوية ليس لهما جذور بالمعنى الصحيح فانهما إما أن يستعملا كجذور فى حد ذاتهما أو أن يضاف إليهما جذور صناعية . وهكذا اختيرت (二) كجذر لصورة (井) ومعناها بئر . كما أن (日) هى جذر لمعنى (明) مضىء . ثم إن محاولة العثور على حرف ما فى القاموس تبسط بواسطة ترتيب كل من الجذور والحروف المنطوية تحتها بحسب عدد الشرطات التى تكونها .

لعل ما سبق كاف لاعطاء فكرة عن القواعد التى تبنى عليها الحروف الصينية فلنعط الآن شرحا موجزا لتطور فن الكتابة من حيث مواده . فاما الخط فى أقدم عهوده حين كان تصويريا ومعنويا محضا فلسنا نعرف له نماذج باقية اليوم ، وأقدم النقوش البرنزية التى ترجع إلى الألف الثانى قبل الميلاد وكذلك النقوش المحفورة على قطع العظم وهياكل السلاحف لأغراض الكهانة ، هذه وتلك وإن كانت لم تفك رموزها فكا كاملا بعد فما يبدو فيها إن العنصر النطقى كان قد تقدم تقدما مطردا . ويظهر أن النقوش على العظام قد استخدم فى حفرها سكين أو آلة حادة وقد بقيت



عادة الكتابة على ألواح الخشب وغاب الخيزران بقلم معدنى مئات من السنين. ولكن لا بد أنه ما جاء زمن كنفوشيوس (حوالى ٥٠٠ ق. م) حتى كان يستعمل نوع ما من اقلام الرصاص فاننا نسمع أنه فى مرة من المرات كتب تلميذ له كلمات أستاذه كنفوشيوس على وشاحه. وكان الخط القديم قد حل محله خط ردىء نوعاً عرف فيما بعد بالختم العظيم وهذا قد أفسد إفسادا شديدا إلى درجة أنه فى حكم الامبراطور الأول فرض على كل الامبراطورية خط رسمى مبسط سمى بالختم الصغير، فنجد غاب الخيزران المشقوق والمغمور فى الدهان يبطل استعماله ويحل محله فرشاة الكتابة المصنوعة من شعر الحيوان، وحوالى نفس الوقت بدأ يصنع نوع أجود من الحبر من مزيج من سناج القنديل والصمغ. وقد أدت هذه المخترعات الى تبدل عظيم فى شكل الحروف إذ صار الآن ممكنا كتابتها بشرطات جميلة سهلة ولكن على الجانب الآخر نسى مدلول كثير من الأشكال القديمة، واخترع الورق حوالى سنة مائة قبل الميلاد وفى القرن الرابع الميلادى بلغ الفن الخطى درجة الكمال ومن هذا الوقت بقيت الكتابة الصينية كما هى لم يطرأ عليها إلا تبدل ضئيل جدا.

اعة فى شارع فى كيوكيانج. وكاتب الخطابات العمومى هوشخصية بارزة فى كل وقت.



وثمت نفع عظيم يتمتع به الصينيون من كون كتابتهم غير أبجدية وهو أن هذا الخط الذى يعجب العين أكثر مما يعجب الأذن مفهوم فى كل أنحاء قطرهم مهما كانت اللهجات المحلية . فالبكينى الذى يسمى النهر (تشيانج) قد لا يستطيع فهم الرجل من كانتون الذى يسميه (كنج) وقد لا يفهمه الرجل من ونتشو الذى يسميه (كوا) ولكن الثلاثة يعرفون فى التو واللحظة معنى حرف 工 بمجرد أن يروه . وبهذه الكيفية تكون اللغة الصينية المكتوبة وشيجة متينة بالغة القيمة تربط كل سكان هذه البلاد الشاسعة ، أضف إلى ذلك أنه وإن تبدل صوت الكلمات فى خلال القرون فان هذه التغيرات لا تمس الحرف المكتوب وهكذا يستطيع الصينى أن يقرأ الأدب الصينى العظيم الجم ويستمتع به وإن كان منه مؤلفات ترجع إلى ألفين أو ثلاثة آلاف من السنين بينما يجد الانجليزى لغة تشوسر أو لانجلاند عقبة كأداء على حداثتها النسبية . وقلة الأصوات لاتؤثر أى تأثير فى لغة الكتاب فان كل كلمة ذات مقطع واحد يعبر عنها بحرف مستقل وليس هناك خوف من الخلط بين كلمتين لهما نطق واحد ونتج من هذا أن الكتاب لم يجدوا أنفسهم مضطرين إلى استعمال الكلمات المزدوجة وما إلى ذلك من الوسائل وهكذا نشأت لغة كتابية ذات جزالة عظيمة ومتانة رائعة إذا قورنت بها لغة الحديث الدارجة وجدت ثرثرة كثيرة الحشو مفككة الأوصال .

إلا أن تلك الطبيعة الخاصة للخط الصينى تتضمن مساوئ بليغة وخاصة فى عالمنا هذا وهذه المساوئ ليست مقصورة على العناء الذى يجب أن يتحمله البادئ بتعلم هذا الخط حين يحاول خفظ آلاف الحروف عن ظهر قلب ، وبرغم أن صعوبة طبع الجرائد اليومية قد ذللت إلى حد كبير فان اختراع آلة كاتبة صينية لا يزال شيئا يعجز عنه العقل الانسانى . أضف إلى ذلك أن قليلا من الأوربيين يدركون أنه برغم ما يقدمه التنغيم من العون والمساعدة فان أى كتاب صينى عادى أذا قرئ جهارا لم يفهم منه السامع أى شىء وليس من وسيلة إلا أن



لوحات الترحيب ترسم وتباع لمهرجان تيت فى شوارع هانوى .

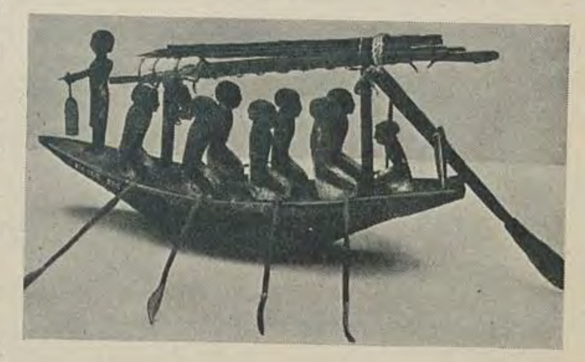
يترجم القارىء الأسلوب الكتابى إلى اللغة الدارجة، لهذه الأسباب وأمثالها قام البعض فى السنوات الخمس والعشرين الأخيرة بمحاولة قوية لطرح الأسلوب الكتابى القديم والاستغناء عنه بما يسمى (باى هوا) أى الكلام البسيط أو ما يقاربه . وقد لاقى هذا الاصلاح قدرا ما من النجاح وإن كان بالطبع لا يحل المشكلة بالنسبة إلى الأدب الموجود الهائل الحجم . ويوجد اقتراح آخر وهو أن تلغى الحروف الصينية إلغاء تاما فى شئون الحياة اليومية ويستعمل مكانها خط نطقى على منوال خط بتمان المختزل أو نظام للكتابة بالحروف اللاتينية من تلك النظم الرائعة التى اقترحت حديثا، ولكن حتى لو فرضنا أن هذا ممكن عمليا فان هذا الانقلاب من المستبعد أن يصادف قبولا لدى طبقة العلماء الأحبار بين الأمة الصينية .

ذو النون المصرى

بقلم الدكتورة مارجريت سميث

من بين اشهر رجال الصوفية فى الاسلام ابو الفائض ثوبان بن ابراهيم ذو النون المصرى . ولد باخميم من اعمال صعيد مصر حوالى سنة ١٨٠ بعد الهجرة (٧٤٦ ميلادية) . ويبدو ان اباه كان نوبيا وان ذا النون كان عبدا ثم عتق . وقد قيل ان ذا النون اعتاد ان يطوف بين خرائب الآثار المصرية القديمة يدرس رموزها ويحاول حلها . وقد درس ايضا بعض علوم الطب والكيمياء والسحر . ويقال ان سعدون الصوفى المصرى كان معلمه ورائده الروحى .

وقد سافر ذو النون الى مكة ودمشق وزار بعض النساك المقيمين الى الجنوب من انطاكيا . وفى اثناء هذه الاسفار توصل ذو النون الى التضلع فى التنسك وكبح جماح النفس . ومن بين ما يروى عن ذى النون انه كان ذات مرة مبحرا مع تلامذته فى قارب بالنيل فاقترب منهم قارب آخر به رهط من المعيدين احنقت تصرفاتهم اتباع ذى النون فطلبوا اليه ان يدعو الله ضارعا اليه اغراق اهل القارب الآخر، لكنه اتجه الى ربه قائلا «يا رب لتنعم على هولاء القوم السعداء فى هذه الحياة الدنيا بعيشة مثلها هنيئة فى الحياة الاخرى »، الامر الذى اثار دهشة اتباعه . ثم اقترب القارب الآخر منهم وابصر من فيه ذا النون فخروا بكيا فى توبة



قارب مصرى نيلى يرجع إلى زهاء ٢١٠٠ ق . م .

لله . وعند ذلك قال ذو النون لصحبه «ان المعيشة الرغدة فى الحياة الاخرى هى ثمرة التوبة فى هذه الحياة، وها أنتم وهم الآن راضون دون حاجة الى انزال ضرر بأحد » . وروى ايضا ان ذا النون كان مسافرا ذات يوم من القدس الى مصر فالتقى بامرأة عجوز تحمل عكازة وترتدى جبة صوفية فسألها من اين جاءت فاجابته «من عند الله » فقال «واين انت ذاهبة » فاجابت «الى الله » فأخرج عند ذلك عملة ذهبية وقدمها اليها فنادت عليه قائلة «اى ذا النون انما الرأى الذى كونته عنى الا ثمرة لتفكير ذكائك القاصر، فأنا اعمل لوجه الله ولا اقبل شيئا من احد سواه . انا اعبده وحده ولا آخذ شيئا الا منه وحده » . وولت على اثر قولها فى طريقها تاركة ذا النون يتمعن فى كلماتها .

وتحدث ذو النون عن اسفاره للبحث عن سبل الخلاص قال «لقد حصلت فى اول اسفارى علما يرضى الخاصة والعامة، وحصلت فى ثانيها علما يرضى الخاصة دون العامة، وفى ثالث اسفارى حصلت من العلم ما لم ترض به لا الخاصة ولا العامة فغدوت شريدا طريدا . لقد حصلت من العلم فى المرة الاولى التوبة وهى مقبولة لدى الخاصة والعامة على حد سواء . وفى المرة الثانية وصلت الى التوكل على الله ومعاملته ومحبته وهى شئون تتقبلها الخاصة ولا تتفهمها العامة، وفى المرة الثالثة وصلت الى الحقيقة التى تسمو على العلم والعقل فاعرضا عنها لم يتفهماها » .

وقد كان ذو النون مطهدا من اجل تدريسه الصوفية علانية حتى انه قبض عليه فى اواخر ايامه وارسل به الى بغداد حيث سجن مع السماح لاصدقائه الصوفيين بزيارته الى ان عفى عنه بأمر من الخليفة فعاد الى مصر حيث وافاه الاجل المحتوم بمدينة الجيزة فى سنة ٢٤٥ بعد الهجرة (٨٥٩ ميلادية) . وهناك من يروى عن جنازته انه رأى الطير تتجمع فى السماء فوق نعشه وتظلله . ويروى كذلك ان بعد وفاته ظهرت على قبره الكلمات الآتيه « ذو النون حبيب الله من الشوق قتيل الله » .



منظر لدمشق.

ولقد كان لذى النون اثناء حياته تلامذة عديدون علمهم التوبة ولقنهم كبح جماح النفس والاقلاع عن الغواية. وقد كان يفرق بين توبة الانابة التى ترجع الى خشية العقاب السماوى والخوف منه، وبين توبة الاستحياء التى تستند الى الاستحياء من رحمة الله العلى. كما كان يقول بأن التوبة ثلاث: توبة العوام وهى التوبة عن المعاصى، وتوبة الخواص وهى التوبة عن الاهمال، وتوبة المعرفة وهى التوبة التى تعنى الاعراض عن كل شيء عدا الله.

وفى تعاليمه عن الله تكلم ذو النون عن الاله بصفة كونه الخالق والفاعل الوحيد والسبب لكل شيء. وذكر انه يعلو على خلقه فى كل شيء علوا مطلقا وان كان متصلا بهم اذ هو فى الوقت نفسه الرحمن يتجلى لخلقه عن طريق رحمته، ويتجلى لاوليائه عن طريق موهبة المعرفة التى عن طريقها يصلون الى الانس به. وفى هذا المعنى قال ذو النون فى احدى دعواته «اللهم انت آنس المؤنسين لاوليائك واقربهم بالكفاية من المتوكلين عليك لشاهدهم فضمائرهم تطلع على اسرارهم. الهى سرى

اليك مكشوف وانا اليك ملهوف اذا اوحشنى الذنب انسنى ذكرك عالما بان ازمة الامور بيدك وان مصدرها عن قضائك، الهى من اولى بالذل والتقصير منى وقد خلقتنى ضعيفا ومن اولى بالعفو منك وعلمك بى سابق وامرك بى محيط اطعتك باذنك والمنة لك على وعصيتك بعلمك والحجة لك على، اسألك بوجوب رحمتك وانقطاع حجتى وتفقرى اليك وغناك عنى ان تغفر لى خطيتى الظاهرة والباطنة » .

وقال فى دعوة اخرى «اللهم الحول حولك والطول طولك ولك فى كل خلقك مدد قوة وحول وانت الفعال لما تشاء لا العجز ولا الجهل يعارضانك ولا النقصان والزيادة يحيلانك وانى يعارضانك وهما ما احدثت او يروسان احالتك وهما ما خلقت وكيف لا يكونان مما احدثت وما خلقت وانت الموجود بالدلائل عليك فلن يخلق خلقك غيرك انت فتباركت يا من كل مدروك فمن خلقه وكل محدود المدروكات فمن صنعه ولا يستغنى عنك مكان ولا يعرفك غيرك الا باقراره لك بالوحدانية ولا يجهلك من خلقك الا ناقص المعرفة ولا يسهيك شيء عن شيء ولا يحد قدرتك احد ولا يخلو منك مكان ولا يشغلك شأن عن شأن » .

ومن تعاليم ذى النون عن الروح ان النفس هى العقبة الرئيسية فى سبيل الكمال الروحى لانها خاضعة لرغبات النفع الذاتى، ولذلك وجب على المتطلع الى الله ان يحارب نزواتها ويتغلب عليها . وعندما سئل ذو النون عن اى الحجب الموجودة بين الله والروح هو اعظم الحجب اثرا فى اخفاء رؤية الحقيقة قال «اخفى الحجاب واشده رؤية النفس وتدبيرها » .

وكان يقول بقدسية الروح فى منشئها وانه يمكن عن طريق كبح جماح النفس تخليص الروح من العقبات النفسية واعادتها الى اصلها الاول من الطهارة فتعود لاتصالها بالله .

فالعودة الى الله اذا تعنى للمتطلع القيام بتطهير نفسه من شرور الرغبات ومن اية صلة اخرى عدا الصلة بالله ذاته . ولقد قال ذو النون

فى احدى المناسبات «لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة » .

وكان ذو النون يشعر بأن الروح فى بحثها عن الله تفيدها النكبات اكثر مما تفيدها النعم ولذلك فعندما كتب اليه امرؤ قائلا «آنسك الله تعالى بقربه » كتب اليه ذو النون مجيبا «اوحشك الله من قربه فانه اذا آنسك بقربه فهو قدرك ،واذا اوحشك من قربه فهو قدره ولا نهاية لقدره حتى يتركك ملهوفا اليه » .



منظر فى المسجد الأموى بدمشق .

وذل النفس ضرورى للروح التى تأمل فى انس الله، وفى ذلك يقول ذو النون ان العارف يزداد كل يوم تواضعا اذ هو يزداد فى كل لحظة قربا من ربه، «وما عز الله عبدا بعز اعز له من ان يدله على ذل نفسه» . فالعبد عندما يبصر القوة السماوية وتتملك عظمة الله منه يدرك كم هو بعيد عن الله فيمتلئ تواضعا وفى هذا المعنى يقول ذو النون «من اراد التواضع فليتوجه نفسه الى عظمة الله تعالى وانها تذوب وتصفو ومن نظر الى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها فقيرة عند هيبته» .

وقد اورد ذو النون تحذيرا آخر للمريد يؤكد به الحاجة الى ذل النفس ويقول «من اراد منكم الطريق فليلق العلماء بالجهل والزهاد بالرغبة واهل المعرفة بالصمت» .

ويعتقد ذو النون ان مخافة الله هى القوة التى تدفع الرجال الى

النكوص عن الشرور قال ان «الخوف رقيب العمل والرجاء شفيع المحن » .

وكان ذو النون يشعر بأن لمخافة الله دورا تؤديه فى تقدم الروح شطر الله ولكنه خشية الابتعاد عنه اكثر من اى نوع آخر من انواع الخوف وفى هذا المعنى قال ذو النون «خوف النار عند خوف الفراق بمنزلة قطرة فى بحر لجى، وكل مؤمن بالله تعالى خائف منه ولكن خوفه على قدر قربه » .

لكن لا الخوف ولا الرجاء بعامل مهم لدى العارف المتضلع الذى وصل الى معرفة الله .

ويعتقد ذو النون ان الدعاء بدوره يجب ان يكون خالصا من الخوف والرجاء اذ لا الخوف ولا الرجاء هما السبب الصحيح فى دعاء المتعبد الصادق، وبالرغم من ان الدعاء — كما رأينا — قد يتخذ من الكلمات فى بعض مراحل الحياة الروحية وسيلة فان الدعاء يغدو فى المراحل العليا صامتا اذ الاتصال بالله والانس بحضرته لا يحتاجان الى كلام .

منظر فى أحد شوارع مدينة دمشق .



وقد تكلم فى هذا المعنى فقال «كل مدع محجوب بدعواه عن شهود الحق لان الحق شاهد لاهل الحق لان الله تعالى هو الحق وقوله الحق ولا يحتاج ان يدعى اذا كان الحق شاهدا له فاما اذا كان غائبا فحينئذ يدعى » .

وعلم ذو النون ايضا ان خدمة الله يجب ان تكون خالصة من النفع الذاتى مجردة من كل الصلات الارضية التى قد تعوقها، وان الخدمة الصادقة التى هى من هذا القبيل تعنى فناء شخصية الفرد البشرى فى ارادة الله، اذ كما قال «الصدق سيف الله فى ارضه ما وضع على شىء الا قطعه » .

والصوفى لا بد يحتاج الى وقت للتفكير اذ ان «مفتاح العبادة الفكرة » هى التى تفتح الباب للمريد وتعطيه الفرصة للمثول فى حضرة الله .

وقد اكد ذو النون كغيره من الصوفيين الحاجة الى العزلة لمن رام الاتجاه الى الله قال «لم ار شيئا اصلح لطالب الاخلاص من الوحدة. لانه اذا خلى لم ير غير الله واذا لم ير غير الله لم يحركه الا حكم الله » .

والحب الخالص المجرد من المصلحة الذاتية هوسبيل الصوفى الى المعرفة والاتصال بالله . وقد سئل ذو النون عن هذا الحب فقال «ان تحب ما احب الله وتبغض ما ابغض الله وتفعل الخير كله وترفض كل ما يشغلك

الحرم الشريف فى بيت المقدس ويظهر فيه مسجد عمر .

منظر من خلا...
الصورة من ا...



منظر من خلال أحد أطلال الأعمدة الرومانية مقابل المئذنة . وقد أخذت هذه الصورة من الزاوية الشمالية الغربية للحرم الشريف فى بيت المقدس .

عن الله » . والحب الخالص هو على حد قول ذى النون «حب الله الصافى الذى لا كدرة فيه سقوط المحبة عن القلب والجوارح حتى لا يكون فيها المحبة وتكون الاشياء بالله ولله فذلك المحب لله » .

لكن ذا النون يرى ان محبة الله بالرغم من استغراقها وادماجها للشخصية الا انه يجب الا تستبعد محبة الناس اذ ان محبة الانسان لاخيه الانسان هى اساس الصلاح ومن احب اخاه وخدمه انما يظهر نفسه خادما لله صادقا مخلصا لله .

والانس هو نتيجة المحبة . هو سرور المحب لمن احب قال عنه ذو النون انه « العلم والقرابة » .

وقال ايضا ان «ادنى منازل الانس ان يلقى فى النار لا يغيب ذلك عمن انس به » .

وقد سئل ذو النون عن علامة الانس بالله فقال «اذا رأيت انه يوحشك من خلقه فانه يؤنسك بنفسه واذا رأيت انه يؤنسك بخلقه فاعلم انه يوحشك من نفسه » .

وقال ايضا ان «الانس بالله نور ساطع والانس بالناس غم واقع » .

هذا وقد كانت المعرفة هى اهم موضوع فى تعاليم ذو النون، كما انه كان من اوائل الصوفيين الذين تعرضوا للكلام عنها . فقد قال بأن المعرفة بالله ثلاث، اولاها هى معرفة التوحيد التى هى ملك لكل المؤمنين وثانيتها معرفة الحجة والبيان وهى معرفة علماء الدين والفلاسفة، وثالثتها معرفة صفات الوحدانية وهى معرفة اولياء الله الذين يتأملون الله بقلوبهم فيكشف لهم عما لا يكشفه لآخر .

ويقول ذو النون فى العارف ان «علامة العارف ثلاثة لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ما ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله تعالى عليه وكرامته على هتك استار محارم الله تعالى » .

والمعرفة تقود الى الحيرة وفى ذلك المعنى قال ذو النون «التفكر فى

ذات الله تعالى جهل والاشارة اليه شرك وحقيقة المعرفة حيرة » . لكنها حيرة قسمها الى نوعين، حيرة العامة ومآلها الزندقة والضلال، وحيرة الخاصة وهى حيرة تتسبب عن الاكتشاف وهى الحيرة التى تدوم وتصمد .

والمعرفة تؤدى الى الاتحاد بالله وفى ذلك قال ذو النون «ان لله عبادا نصبوا اشجار الخطايا نصب اعينهم وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عى ولا بكم وانهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله وبرسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت وحالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحب النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم فى العلى حتى اناخوا فى رياض النعيم وخاضوا فى بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا فى سفينة العطية واقلعوا بريح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة » .

وهكذا فقد كان ذو النون فى اول الامر متنسكا متقشفا زهد العالم وابتغى الوحدة والعزلة حيث تدرب على كبح رغبات نفسه الى ان تغلب عليها ثم سار عن طريق التوبة والتطهر الى ان حظى ببهجة المعرفة فأصبح فى آخر الامر صوفيا عارفا بالله . وهو يكاد ان يكون اول صوفى تكلم عن المعرفة ووصف المراحل المختلفة التى تجتازها الروح فى سبيلها الى الوصول الى الله والعثور عليه .

★

تأثير الأدب العربى على الأدب الانجليزى

بقلم ا . ج . آربرى

إذا نحن اعتبرنا ما بين انجلترا والعالم العربى من علاقات طويلة متصلة ودية فى ناحيتى التجارة والثقافة لم يعد مستغربا أن نجد الأدب الانجليزى مرآة ينعكس عليها ما كان عليه الانجليز دائما من اهتمام بالشئون العربية وإعجاب بحضارة العرب ومدنيتهم . ولكننا إذا بدأنا نتعمق النظر فى مدى تأثر الأدباء الانجليز المشهورين بهذه الروابط بين الشرق والغرب فيما ألفوه وإذا أخذنا ندرس بعناية أشد ما يمكن أن يسمى العناصر العربية فى الأدب الانجليزى — إذ ذاك نبدأ ندرك بحق مبلغ تأثير هذه العناصر ومقدار ما كان لها من إلهام مثمر وفهم عميق واتساع فى الأفق . ومن الواضح أننا فى هذه المقالة الموجزة لا نستطيع اكثر من أن نلقى نظرة خاطفة على جنبات هذا الميدان الشاسع، ولكن الكاتب إذا نجح فى إثارة اهتمام قارئيه إلى حد يدفعهم إلى التوسع فى دراسة الموضوع بأنفسهم فانه إذ ذاك قد يحق له أن يعتقد أنه قد أفلح إلى حد ما فى بلوغ هدفه .

أما العلاقات بين الأمة الانجليزية والأمم العربية فتقع فى ثلاثة أطوار حددتها الظروف التاريخية والجغرافية . فالطور الأول بدأ بالحروب الصليبية واستمر حتى نهاية القرن الرابع عشر، والثانى بدأ بانتهاء القرن السادس عشر حين أسست لأول مرة الشركات التجارية الانجليزية التى تاجرت مع البلاد العربية واستمر حتى أواسط القرن الثامن عشر . وأما الطور الثالث فاقترن بنهضة حركة الاستشراق فى انجلترا والهند واستمر حتى يومنا هذا .

والفترة الأولى من هذه الفترات الثلاث يمكن أن توصف وصفا

سريعا، فان الادب الانجليزى كما نفهمه الآن عموماً لم يكن قد بدأ إنشاؤه بعد. ولم يبق إلا القليل مما كتب الأدباء الانجليز فى ذلك العصر باللغة اللاتينية، وذلك لأن فن الطباعة لم يكن قد اكتشف بعد، ولم تحصل الكتب التى



شكسبير يقرأ مسرحية (ماكبث) أمام بلاط الملكة اليصابات.

ألفت فى زمن الحروب الصليبية إلا على شهرة قصيرة العمر وانتشار ضئيل. فعلينا أن نترقب مجىء الفترة الثانية قبل أن نعثر على أقدم الأمثلة للتأثيرات العربية فى الأدب الانجليزى. وفى بدء هذه الفترة كانت اللغة العربية غير معروفة فى انجلترا ولم تكن دراسة الأدب العربى قد بدأت بعد فى الغرب اللهم إلا كوسيلة للحصول على معرفة بالعلوم والفلسفة والرياضيات. ولكن اولئك الرحالين الذين اجتذبتهم التجارة إلى الشرق عادوا يتغنون بمجد الحضارة العربية وروعتها، كما أن قدرا ما من العلم بتأريخ العرب وثقافتهم كان موجودا فى أوربا وإن كان غير بالغ الدقة. وكان هذا العلم يعتمد على الأقاويل ولذلك لم يكن تام الصحة بل خلط بين الواقع والخرافة خلطا شديداً. ومنع الناس تحاملهم من أن يقدروا المزايا الدينية والأخلاقية للتعليم الاسلامى حق قدرها. وعلى الرغم من ذلك نجد تشوسر يدخل (الزباء ملكة تدمر) فى كتابه (قصص كانتربرى) وإن كان تناوله للموضوع لا يظهر أى أثر للمصادر العربية. وقد خصص كرستوفر مارلو رواية تمثيلية لقصة تيمور لنك، كما أن عنوان (الكيماوى) الذى جعله بن جونسون لاحدى رواياته التمثيلية يستعيد ذكرى ما كان للعلم العربى من شأن سابق فى أوربا. أما الذى شخص العرب تشخيصا حيا على المسرح الانجليزى فكان شكسبير، ففى مأساته المشهورة (عطيل) يقدم وصفا بديعا

مستثيراً للعاطفة لمغربى نبيل الطبع، بينما تشخيصه لأمير مراكش فى (تاجر البندقية) يطلعنا على نفس الفهم ولطف التناول.

ولقد كان كتاب (حى بن يقظان) لابن طفيل من أول ما درس وترجم من الكتب العربية لميزتها الأدبية بصرف النظر عن قيمتها العلمية. فلقد قام إدوارد بوكوك الصغير بنشر هذا المؤلف مصحوبا بترجمة لاتينية فى اكسفورد سنة ١٦٧١. ثم ترجم النص إلى اللغة الانجلزية فى سنة ١٧٠٨ وكان مترجمه سيمون أوكلى الباحث فى كمبردج، ولقد أثارت ترجمة أوكلى اهتماما كبيرا من مواطنيه الذين لم يشاركوه علمه بالعربية. وتأثيرها جلى فى كتاب (راسيلاس Rasselas) لصمويل جونسون وكتاب (ايوثن Eothen) لكنجليك وأمثالهما من الكتب ثم إنه فى نفس الوقت كشفت الأبحاث المستنيرة التى قام بها إدوارد بوكوك الكبير وسيمون أوكلى عن صورة أكثر صدقا لتأريخ العرب وحضارتهم من الأفكار المشوشة التى كانت ذائعة قبل ذاك. ولقد قام المؤرخ العظيم إدوارد جبون بدرس مؤلفات بوكوك وأوكلى واستطاع بذلك أن يعطى وصفا لنشأة الاسلام أكثر عدلا ونزاهة من أى وصف آخر ظهر قبل عصره فى أى صقع من أصقاع أوربا.

وفى أوائل القرن الثامن عشر عرف الجمهور الانجليزى كتاب (الف ليلة وليلة) لأول مرة. ولقد كان تأثير هذه القصص عظيما بالغاً فاق ما تستحقه ميزتها الأدبية. فلقد صادف أن انسجمت محتوياتها الخيالية أشد انسجام مع تلك الأقاصيص المغالية التى أذاعها الرحالون عن الشرق والتى بذل بوكوك وغيره أقصى جهدهم فى تكذيبها، فبنى أغلب القراء الانجليز تصورهم للحضارة العربية على هذه الأساطير إن خيراً وإن شراً اكثر مما بنوه على الحقائق الصحيحة التى بذل العلماء فى عرضها جهدا طويلا شاقا. فأصبحت (القصة الشرقية) نموذجا أدبيا محببا ولم يقتصر ذلك على انجلترا بل تعداها إلى فرنسا حيث لم يتحرج فولتير العظيم من المساهمة بنفسه فى تلك الأكذوبة. فألفت روايات تدور

حوادثها فى الشرق الاسلامى ولكن حرف كل شئ حتى اتخذ هيئة (ألف ليلة وليلة) . ولا شك أن هذه المؤلفات كانت شائقة جدا ولم تخل من ميزات أدبية ولكنها هدمت التقدير الصحيح للثقافة العربية .

ولكن تقديرا أصح لحضارة العرب ومثلهم الأخلاقية لم يتح له أن ينشأ إلا بعد أن بذل اهتمام جدى لدراسة الأدب العربى الحق فى لغته التى فيها خلق . ونتيجة لهذا كان لا بد أولا من أن تنهض حركة الاستشراق قبل أن يصبح فى استطاعة الكتاب الانجليز أن يستمدوا من مصادر الالهام الحقة فى تناولهم للموضوعات العربية . وكان أعظم رائدى الاستشراق السير وليم جونز (١٧٤٦—١٧٩٤) وهو عالم كبير حقا واسع العلم بالعربية والفارسية والتركية وكذلك بالسنسكريتية ولغات شرقية أخرى كثيرة، وقد استغل هذه الذخيرة اللغوية لا بطريقة مدرسية جافة بل ليفتح كنوز الأدب الشرقى للعالم الغربى . ولقد كان أعظم نجاح حصل عليه جونز كعالم بالعربية ترجمته للمعلقات إلى اللغة الانجليزية لأول مرة (سنة ١٧٨٣) . ولقد لزمه لكى يقوم بهذا العمل أن يراجع كثيرا من الشروح التى تضمنتها المخطوطات لأن القصائد لم تكن قد طبعت ولم تكن قد درست فى أوربا إلا قليلا . وإن النجاح الذى أحرزه على الرغم من ذلك لدليل كاف فى حد ذاته على مواهبه الفائقة . ولكن أيادى جونز على دراسة الأدب العربى لم تقتصر على هذه الترجمة للمعلقات، فانه فى كتابه الغزير العلم (شروح على الشعر الأسيوى) (سنة ١٧٧٤) أسهب فى الكتابة عن الشعر العربى ونشر نماذج كثيرة مصحوبة دائما بترجمات لاتينية صحيحة . وفى مجلده (القصائد) (سنة ١٧٧٣) أضاف إلى الترجمات اللاتينية للأصول العربية قصيدة طويلة من تأليفه هو اسمها (سليمة) وصفها بأنها (ليست ترجمة عادية من اللغة العربية بل أخذت أكثر صورها وعواطفها وأوصافها من شعراء بلاد العرب أنفسهم) .

ولقد بلغ وليم جونز فى عصره شهرة عظيمة وبقى تأثيره بعد وفاته بمدة طويلة لأن تآليفه الغزيرة درسها الكثيرون من مشاهير شعراء

الانجليز فى القرن التاسع عشر دراسة عميقة . وفى نفس الوقت تتبع آخرون من الباحثين الانجليز خطوات جونز فتعلموا العربية وفاضت قلوبهم باعجاب لا يحد بالأدب العربى . وليس من الضرورى هنا إحصاؤهم عددا ولا الاطالة فى وصف ما طبعوه فان هذا يعرفه كل قارئ عربى . فلنكتف بما يحضرنا من أمثلة قليلة فنذكر ا . و . لين وترجمته الجديدة لألف ليلة وليلة ومعجمه اللغوى العظيم الذى يعرف قدره كل من درس لغة العرب . ونذكر ا . ه . بالمر الذى طبع وترجم ديوان بهاء الدين زهير، ونذكر و . س . بلنت وترجمته البديعة للمعلقات، والسير شارلز ليال وترجماته من كتاب الحماسة والأشعار العربية الأخرى . ونذكر ر . ا . نيكلسون الذى كتب أجود تأريخ للأدب العربى فى أية لغة غربية والذى نشر عددا كبيرا من الترجمات الشعرية لشعراء العرب .

جاهد هؤلاء المستشرقون وزملاؤهم العديدون لكى يعرفوا أبناء

صورة للدكتور جونسون وبزويل وجولدسميث .



وطنهم بالروعة الحقيقية التى تمتاز بها حضارة العرب وثقافتهم . ونحن إذا درسنا الأدب الانجليزى فى السنين المائة والخمسين الأخيرة أدركنا المدى الشاسع الذى بلغه نجاحهم . فيندر أن نجد شاعرا عظيما أو كاتبا للمقالات أو ناقدا أو روائيا إلا وقد اعترف بأنه مدينَ للتفكير العربى بالالهام، ليس فقط فى الفاظ بل أيضا فى صورة أبدع وأجلى ألا وهى تناوله للموضوعات العربية فى إنشاءاته الأدبية . وليس بامكاننا هنا إلا أن نقتبس قليلا من الأمثلة .

فروبرت سوذى الذى كان شاعر الملك فى انجلترا من سنة ١٨١٣ إلى سنة ١٨٤٣ قد درس كل ما كتبه السير وليم جونز دراسة عميقة وأكثر شعره الممتاز تتخلله الأفكار الشرقية وبخاصة الأفكار العربية . وقد كان إلى جانب ذلك واقعا تحت تأثير ألف ليلة وليلة إلى حد شديد وهذا يشرح الطبيعة الخيالية الجامحة لأساطيره وأوصافه . وأشهر هذه (القصائد الشرقية) قصيدته المسماة (ثعلبة الفتاك) التى طبعت سنة ١٨٠١ .
وموضوعها عربى بلا شك ولكن من أسلوب ألف ليلة وليلة، فهى قطعة أدبية ذات خيال شديد التحليق ولكنها مملوءة بأوصاف بديعة ذات نكهة عربية صادقة . وهنا لا نستطيع إلا إعطاء مثال واحد :

Then Thalaba drew off Abdaldar's ring,
And cast it in the sea, and cried aloud,
" Thou art my shield, my trust, my hope, O God !
        Behold and guard me now,
        Thou who alone canst save.

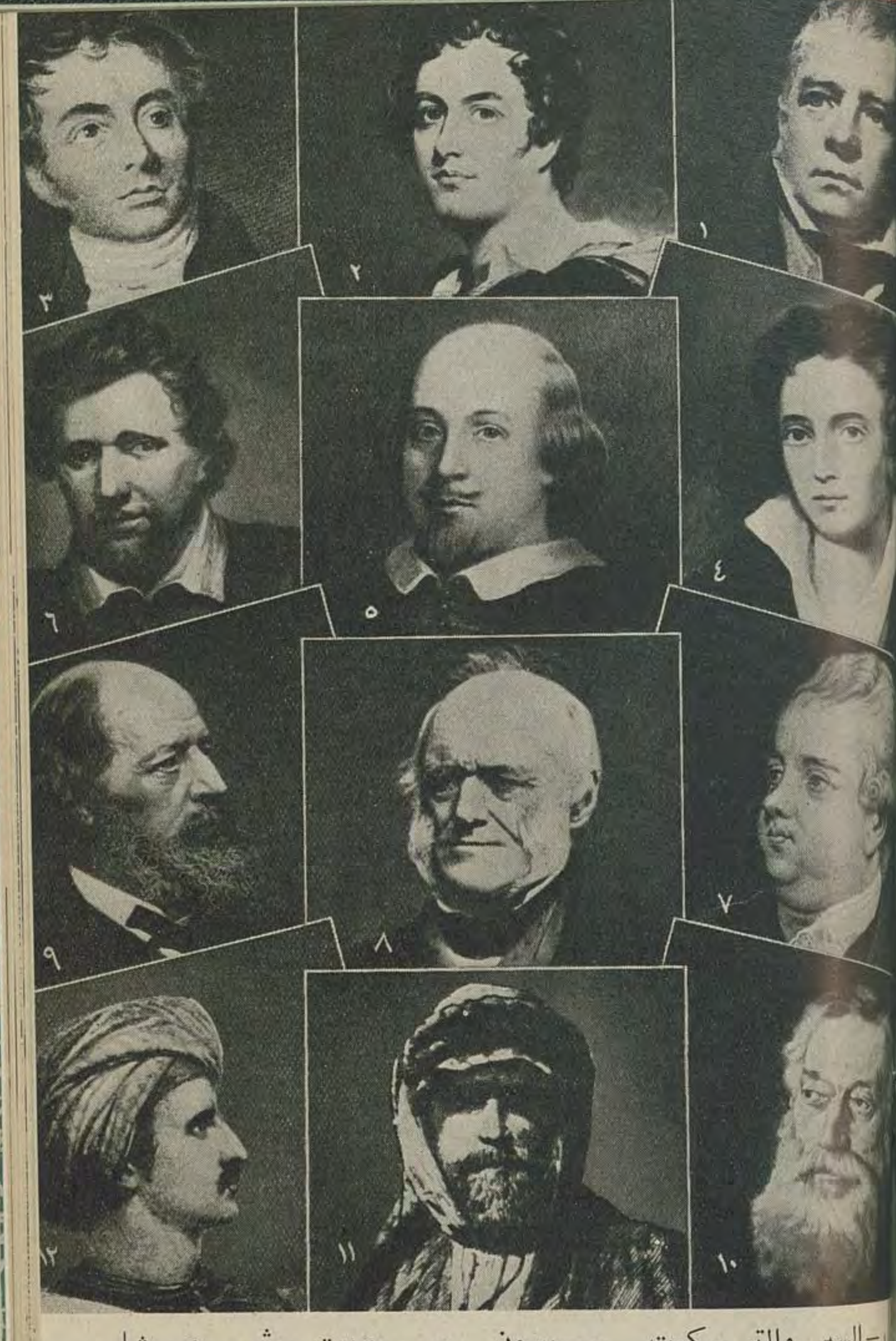
If from my childhood up I have look'd on
With exultation to my destiny ;
If in the hour of anguish I have own'd
The justice of the hand that chasten'd me ;
If of all selfish passions purified
I go to work thy will, and from the world
        Root up the ill-doing race,
Lord ! let not thou the weakness of my arm
        Make vain the enterprise ! "

The Sun was rising all magnificent,
Ocean and Heaven rejoicing in his beams,
        And now had Thalaba
Perform'd his last ablutions, and he stood
And gazed upon the little boat
        Riding the billows near,
Where, like a sea-bird breasting the broad waves,
        It rose and fell upon the surge,
Till from the glitterance of the sunny main
        He turn'd his aching eyes.

وإليك تعريب هذه الأبيات :

حينذاك نزع ثعلبة خاتم عبد الدار
وألقى به فى البحر وصاح فى صوت عال
«يا إلهى أنت درعى وعليك اتكالى وفيك أملى
فانظرنى الآن واحمنى
يا من لا يستطيع غيره أن ينجى
ان كنت من عهد طفولتى قد نظرت
إلى نصيبى بجذل واعتزاز
وان كنت فى ساعة العذاب قد اعترفت
بعدالة اليد التى عاقبتنى
وإذا كنت قد تطهرت من كل الرغبات الأنانية
حين سعيت فى تحقيق إرادتك وفى استئصال
الخلق الشريرين من الدنيا
فيا رب لا يسببن ضعف ساعدى
ضياع مجهودى سدى ! »

كانت الشمس تشرق فى أكمل بهائها
وكان البحر والسماء مبتهجين بأشعتها
حين أتم ثعلبة
وضوءه الأخير ووقف



-السير والتر سكوت . ٢ —بيرون . ٣ — روبرت سوثى . ٤ — شلى .
-شكسبير. ٦ —بن جنسن. ٧ —أ. جبون. ٨ — السير شارلز ليال. ٩ — اللورد
تنيسون. ١٠ —شارلز مونتاجو دوتى. ١١ —ولفريد بلنت. ١٢ —إدوارد وليم لين.

The
Ocea

Perf
And

Whe

Till

ونظر إلى القارب الصغير
ممتطيا ظهر الأمواج القريبة المائجة
مثل طائر الماء يشق بصدره الأمواج العريضة
تارة يعلو اللجة وتارة يهبط
حتى أرغمه البحر المتألق بضياء الشمس الباهر
على أن يتحوّل بعينيه المتعبتين .

ولقد كان تأريخ الأندلس وقصة رودريك أو لذريق آخر ملوك القوط الذى هزمه طارق فاتح أسبانيا فى سنة ٧١١، مصدراً ألهم ثلاثة من الشعراء الانجليز، فكل من السير والتر سكوت وسوذى ولاندور نظم قصيدة طويلة على هذا الموضوع . وقد تناول السير والتر سكوت موضوعات عربية فى مؤلفات أخرى له كروايته (ايفانهو) المحتوية على تصوير بديع مليء بالفهم والعطف لصلاح الدين .

وكان بيرون شديد الاهتمام بتأريخ الشرق وثقافته وقد درس كتبا كثيرة عن هذه الموضوعات، واكثر قصائده الطويلة تستمد إلهامها أو الوسط الذى تحدث فيه من موضوعات شرقية وإن كان الشرق الذى اختلب لبه ليس شرق العرب بل شرق الأتراك العثمانيين . ومن الراجح أن شلى كان على معرفة بمؤلفات السير وليم جونز وكثير من قصائده تدور حوادثها فى الشرق، وبخاصة قصيدته (تقليد من العربية) التى نشرت فى سنة ١٨٢١ وهى تتخذ موضوعها من سيرة عنتر التى قرأها شلى فى ترجمة تريك هاملتون .

My faint spirit was sitting in the light
Of thy looks, my love ;
It panted for these like the hind at noon
For the brooks, my love.
The barb whose hoofs outspeed the tempest's flight
Bore thee far from me ;
My heart, for my weak feet were weary soon,
Did companion thee.

Ah ! fleeter far than fleetest storm or steed,
        Or the death they bear,
The heart which tender thought clothes like a dove
        With the wings of care ;
In the battle, in the darkness, in the need,
        Shall mine cling to thee,
Nor claim one smile for all the comfort, love,
        It may bring to thee.

وإليك تعريب هذه الأبيات :

كانت روحى المضناة جالسة فى ضياء
نظراتك يا حبيبتى
فاشتاقت إليك كما يشتاق الظبى فى الهاجرة
إلى جداول الماء يا حبيبتى
إن الجواد الذى تبارى حوافره وفد الريح
قد حملك بعيدا عنى
ولكن قلبى إذ سرعان ما كلت قدماى الضعيفتان
صحبك فى رحيلك .

آه أسرع من أسبق الريح وأمضى الخيل
أو من الموت الذى يمتطيها
القلب الذى يسربله الشوق كحمامة
بأجنحة الهم
فى الوغى وفى الظلام وفى الحدث الملم
سيتعلق قلبى بك
ولن يطالب بابتسامة واحدة جزاء يا حبيبتى على كل الراحة
التى قد يجلبها إليك .

وقد قام ألفريد تنيسون شاعر الملك فى انجلترا من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٩٢ بدراسة مؤلفات السير وليم جونز دراسة دقيقة وتناول فى

كثير من قصائده موضوعات شرقية . وأبرز مثال على دينونته للأدب العربى قصيدته الغنائية المشهورة (إيوان لكسلى) الذى كتب عنها ابن الشاعر قائلا «إنى أتذكر أن والدى قال إن ترجمة السير وليم جونز النثرية للمعلقات ألهمته بفكرة القصيدة . » وليست القصيدة نفسها ذات وسط عربى خالص فحسب، بل إن وزنها أيضا محاولة لتقليد بحر الطويل الذى استعمله امرؤ القيس . ولكن لما كان تنيسون قد أخطأ فى فهم مثال جونز فانه وضع المقاطع الطويلة فى غير مواضعها وبذلك أخفق فى التقليد المضبوط .

والأبيات الافتتاحية توضح كلا وسط القصيدة ووزنها :

Comrades, leave me here a little, while as yet 'tis early morn:
Leave me here, and when you want me, sound upon the bugle-horn.

'Tis the place, and all around it, as of old, the curlews call,
Dreary gleams about the moorland flying over Locksley Hall;

Locksley Hall, that in the distance overlooks the sandy tracts,
And the hollow ocean-ridges roaring into cataracts.

Many a night from yonder ivied casement, ere I went to rest,
Did I look on great Orion sloping slowly to the West.

Many a night I saw the Pleiads, rising thro' the mellow shade,
Glitter like a swarm of fire-flies tangled in a silver braid.

واليك تعريب هذه الأبيات :

خليلى دعانى هنا برهة قصيرة والصبح لما يزل باكراً
دعانى هنا وإذا ما أردتمانى فانفخا فى البوق .

هذا هو الموضع ومن حوله لا تزال الكراوين تهتف كعهدى بها قديما،
والومضات الموحشة تتطاير على الفيافى الجدباء فوق ايوان لكسلى .

إيوان لكسلى الذى يشرف من بعيد على المنعرجات الرملية،
وأخاديد المحيط المجوفة تصخب وقد صارت جنادل .

كم ليلة من ذلك الافريز الذى يكسوه العشب المتسلق، قبل
أن آوى،
راعيت كوكبة الجبار تنحدر فى بطء إلى الغرب .

كم ليلة رأيت الثريا تطلع من خلال الظلة النضرة،
وتبرق كخشرم من الحباحب يتخبط فى جديلة فضية .

فى هذه القصيدة وفى قصائد غيرها كثيرة تتجلى دينونة تنيسون للفكر العربى، وبخاصة ألف ليلة وليلة، كما يتضح من قصيدته المشهورة (ذكريات ألف ليلة وليلة) التى تتردد فيها هذه العبارة (لهرون الرشيد صاحب الفضل) .

أما فى أزمنة اكثر حداثة فان الموضوعات العربية ما زالت تطبع الأدب الانجليزى بطابعها العريض . ولا يقتصر ذلك على تلك الترجمات من الشعر العربى التى تحتل الآن مكانها بين مختار الأدب الانجليزى — وبنوع خاص ترجمة بلنت للمعلقات — بل إن كثيرا من المؤلفات الانجليزية أيضا قد صدرت خلال الخمسين سنة الاخيرة وفيها قد نمت وأخصبت تلك البذرة من الالهام الأدبى . ومع ذلك جنباً إلى جنب نشأ نوع آخر من الأدب نتج عن العلاقة الشخصية المباشرة بين عباقرة الرجال الانجليز والعالم العربى . وأسبق هذه الثمرات فى الايناع وربما أيضا أسبقها فى القدر والميزة ذلك الكتاب العظيم (بلاد العرب الصحراوية) الذى ألفه تشارلز دوتى، والذى ينطق كل سطر فيه بروح الصحراء العربية وشعرائها . ويكاد يبلغ نفس هذه المنزلة كتاب (أعمدة الحكمة السبعة) الذى ألفه ت . ا . لورنس، والذى يحتل الآن مكانا أكيدا بين مختار الأدب الانجليزى . ونفس تلك الروح العربية الصادقة تتجلى مرارا وتكراراً فى كتب جرترود بل وفريا ستارك ورحالين آخرين أقل منهما شهرة جابوا أصقاع الأقطار

العربية . ثم أخيرا قد ظهر شئ لعله من نواح كثيرة أعظم إمتاعاً وهو ذلك الأدب الذى صدر منذ فترة قصيرة جدا والذى وإن كان لا يزال غير معروف إلا قليلا فانه بلا شك سيحرز صيتا ذائعا فى عالم الكتب، ونعنى الأدب الذى كتبه رجال انجليز قضوا ثلاث سنوات فى الصحراء الغربية واقفين حراسا على المدخل المؤدى إلى العالم العربى وهناك استمدوا من الينابيع الحقة للالهام التى أروت أعظم شعراء الأدب العربى . ونحن فى هذه المؤلفات نرى من جديد كثيرا من الخصائص المميزة التى يزدان بها شعر الجاهلية وبخاصة الوصف الدقيق لمناظر الصحراء والحياة فيها . ولعل لنا أن ننتظر فى وثوق وشوق طبع هذه الأمثلة الأخيرة التى يتجلى فيها تأثير العناصر العربية على الأدب الانجليزى .

*

شيوخ فى واحة صحراوية . كانت الواحات الصحراوية المكان الذى أنشد فيه كثيرون من شعراء الشرق قصائدهم وقصوا قصصهم .



القفطان ذو اللؤلؤ الوردى

بقلم عمر سيف الدين

كان الجو تحت قبة قاعة المجلس الضخمة رطبا عليلا وكانت القاعة هادئة تملؤها الظلال فى ذلك اليوم . وكانت اشعة شمس الربيع تنساب خلال زجاج النوافذ الملون وتشع خيوطا من النور زرقاء وغبراء وبنفسجية يزداد لونها دكنة كلما امتدت على ميناء الآجر ذى اللون الاخضر الداكن .

جلس الوزراء القرفصاء على وسائد حريرية عالية ونظراتهم مسلطة على رسوم السجاد المفروش امامهم بينما كان الوزير الاكبر جالسا يحمل فى يده النحيلة لحيته البيضاء الطويلة وهو شاخص فى الفضاء بعينيه الغائرتين فبدا وكأنه مستغرق فى التفكير فى شيء بعيد جدا وكثير الغموض .

وفى النهاية قطع الوزير الاكبر الصمت قائلا «نحن فى حاجة الى رجل شجاع » . واكمل قوله «اننا لم نسمح لمبعوثه بالرغم من ردائه المحلى بالماس والذهب والفضة ان يقبل يدى السلطان، ولم نسمح له الا بتقبيل ركبتيه . ولست اشك انه سينتقم لما نال مبعوثه » .

«بكل تأكيد . »

«اوافق على ذلك . »

«ليس هناك اى شك فى ذلك . »

ولما رأى الوزير الاكبر الوزراء يتفقون معه كل الاتفاق استطرد فى شرح ما يشغل تفكيره فقال :

«يجب اذا ان يكون مبعوثنا رجلا على غاية الشجاعة، ان يكون رجلا لا يهاب الموت ولا يحنى رأسه خنوعا ازاء اى عمل قد ينال من شرف بلدنا . »

«نعم ! »

«هذا صحيح ! »

«من غير شك ! »

عند ذلك ترك الوزير الاكبر لحيته ووضع يده على ركبته ثم عدل قامته ورفع رأسه والقى نظرة على وزرائه واحدا فواحدا ثم قال :

«حسنا . فاعثروا لى اذا على مثل هذا الرجل اذ لا اظن بين رجال القصر او المستشارين من هو بهذا الحزم او على هذه الشجاعة . ترى هل يمكنكم العثور على احد؟ »

وعلى اثر ذلك ساد السكون على المجلس، تلك الهيئة الصغيرة التى هى بمثابة الرأس المفكر فى دولة اكثر عواهل الارض تدينا وحبا للسلم واتزانا فى التفكير واستغرق الكل فى تفكير عميق .

كانت مهمة الرجل المطلوب ان يذهب مبعوثا لدى اسماعيل الصفوى شاه ايران الذى كلفته كبرياؤه بعد ذلك الوقت بسبعة اعوام ثمنا غاليا على يد ياوز ذلك الجبار العاتى . كان مما لا شك فيه ان اسماعيل هذا المغامر الذى بنى فى النهاية امبراطورية شاسعة فى الشرق سيسىء معاملة مبعوثنا ولن يتردد اذا ما لقى منه اعتراضا او مقاومة ان يأمر بصلبه حيا او يأمر بتعذيبه حتى الموت تعذيبا لا تتصور وحشيته .

وهنا تحرك الشخص الذى كان واقفا الى يمين الوزير الاكبر مرتديا قلنسوة علاها ريش احمر بعد ان كان ساكتا لمدة طويلة سكوت القبور . تحركت عيناه ثم التفت فى بطء الى اليسار وقال :

«انا اعرف الرجل الذى يصلح لهذه المهمة . لقد كان والده من اصدقائى . لكنه لن يقبل اية وظيفة تعرضها الدولة عليه . »

«من هو؟ »

«محسن شلبى . »

ولم يكن الوزير الاكبر قد سمع عن هذا الرجل من قبل .

«هل يقيم فى هذه النواحى؟ »

«نعم .»

«وماذا يصنع ؟ »

«هو على بسطة من العيش يمضى وقته فى القراءة ولا اظنك تعرفه يا سيدى اذ هو لا يختلط ابدا بالعظماء ولا يسعى وراء المجد . »

«لماذا ؟ »

«لست ادرى لكن ربما خشى السقوط من عل . »

«غريب ! »

«لكنه شجاع جدا لم يحد قط عن الطريق القويم ولا هاب الموت يوما بل كثيرا ما خاض الحروب وبوجهه ندوب من جراح السيوف . »

«الا يقبل ان يغدو مبعوثا لنا؟ »

«لا يمكننى الاجابة على ذلك . »

«حسنا، الا يمكن رؤيته . . . ؟ »

«لست على ثقة من قبوله الحضور الى هنا . »

«لكن لاى سبب بالله ؟ »

«لأنه لرجل من هذا الطراز، لا يسأل احدا معروفا ولا تربطه باحد رابطة، عنده الملك والسائل على حد سواء . »

«الا يحب بلاده؟ »

«اظنه يحبها . »

«اذا سنستدعيه لخدمة الدولة . »

«فى ميسور سعادتكم دائما ان تجربوا . »

وفى ذات المساء ارسل الوزير الاكبر مستشاره الى بيت محسن شلبى باسكدار وطلب منه الحضور من غير تردد او تأخر اذ يريد الوزير التحدث معه فى امر اهميته للدولة عظيم .

وبعد الصلاة من صباح اليوم التالى بينما كان الوزير الاكبر جالسا فى غرفته الصغيرة الواقعة فى سلاملك القصر وقد اظلمتها ستائر سميكة يقرأ الاوراق التى تركها له سكرتيره اخبر بحضور محسن شلبى فقال :

«احضروه هنا .»

ولم تمض دقيقتان حتى اجتاز الباب البلوطى المطعم باللؤلؤ رجل طويل القامة بشوش الوجه حسن البناء ذو شارب طويل وعينين واسعتين تحت حاجبين اسودين جميلين لا يحمل فى منطقه سلاحا . انتظر الوزير الاكبر، الذى كان معتادا دائما على انحناء وخشوع كل رعاياه، لحظة تمكن زائره من الركوع على ركبتيه وتقبيل اطراف ثياب الوزير . لكن طرف الاريكة المكسى بكساء ازرق مصنوع من خيوط من الذهب والفضة الذى اعتاد ان يقبله الجميع ظل فى مكانه دهشا وكأنه جمجمة ذهبية فارغة . اما الوزير فقد خانه تفكيره فلم يجد ما يقوله اذ كانت هذه اول مرة فى حياته يقع فيها بصره على رجل كهذا الرجل يقف امامه مرفوع الصدر شامخ الرأس . بل ان وزراءه انفسهم يظلون منحنين بين يديه فى القاعة ذات القبة .



«لقد طلبت حضورى » سأل محسن شلبي فى صوت طبيعى النبرات .

«اجل، الآن . . . . . »

«انا تحت امرك . »

«تعال واجلس هنا يابنى . »

ومن غير اى حياء او تردد او ارتباك جلس محسن شلبى على الاريكة المعينة له . اما الوزير الاكبر فقد تساءل فى نفسه وهو ينظر فى الاوراق التى ما زالت فى يده وقال «انه لرجل غريب الاطوار وما اعجب ان يكون مجنونا ؟ » لكن على العكس فهذا السيد رجل قادر عنده من المال ما يغنيه عن سؤال الشجاع او الجبان، وهو يسوس دائرة ويشرف على مزرعة كبيرة خلف غابة جامليجه ويحيا حياة شريفة لا التزام فى ذمته لانسان، وهو يعنى بالفقير والضعيف ومن نزل به مصاب ولم تخل مائدته يوما من الضيوف، كان متدينا لكن لم يكن متعصبا ، كان من اولئك الرجال الذين امتلأت قلوبهم بحب خالص لدينهم ولأمتهم ولمليكهم، كان مدركا لمركز دولته ولعظمتها . وكان غرضه الامثل الوحيد «الا يحنى قامته لاحد غير الله والا يكون عبدا لاى عبد آخر» . كان علمه وكانت فضائله معروفة للجميع، وعندما تحدث معه ابن كمال قال : «هو يزيد معارفى » . لقد كان شاعرا لكنه لم يقرض قصيدة مديح قط ولا قرأ قصيدة مديح قط . كان عمره يزيد على الاربعين عاما لكنه لم يسلك طريقا من طرق الثروة التى تفتحت امامه . كان يعلم ان فى نهاية كل هذه الطرق المرصوفة بالذهب والحلى والشبيهة بطرق الفردوس، كان يعلم ان فى نهايتها دائما اطراف ثياب قبيحة تنتظر التقبيل . ولما كان الانسان خليفة الرب فى ارضه، شاء الله ان يخلقه على صورته، فقد كان الرجل يسمو على بقية الخلق واصبح الملق الحقير اولى بالكلب الذى يهز ذيله وهو يلعق حذاء سيده . اما بين الرجال فقد كان محسن شلبى يكره الرجل الذى يدفعه طموحه الى ابتلاع كل انواع التحقير فيصعد الطريق المغرى محنى الظهر الى اعلى قمم الحظوة، اولئك العبيد الذين لم يعرفوا قيمة انفسهم، اولئك

الوضيعين الذين يسيرون على الارض كالزواحف . بل ان محسن قبض يده عن الاحسان عليهم حتى يتفادى رؤية مثل تلك الزعانف، ولم يك يظهر الا فى ايام الحروب ليقود فرق الفقراء . ولذلك فان جلوسه فى بساطة طبيعية فى حضرة الوزير الاكبر ادهش الوزير كثيرا لكنه لم يغضبه .

«نريد ان نرسل مبعوثا الى تبريز فهل انت، ايها الشاب، على استعداد لتولى هذه المهمة من قبلنا ؟ »

«انا، يا سيدى ؟ »

«اجل، انت . »

«باية صفة ؟ »

«لم نتمكن من العثور على الرجل الذى نريد . . . »

«لكننى حتى اليوم لم اشغل اى منصب هام من مناصب الدولة . »

«ولم ذلك ؟ »

لم يجب محسن شلبى على الفور ثم ابتسم وقال :

«لاننى لا اخفض رأسى ولا اقبل الايدى ولا اطراف الثياب . ولما كان رجال الدولة فى الوقت الحاضر يرتفعون الى مناصبهم العالية فى الغالب بفضل كثرة الملق والنفاق والمداهنة خافضين الرؤوس يقبلون الايدى واطراف الثياب بل وحتى الارجل فانهم يجمعون دائما حولهم بصفة خاصة اولئك الذين يظهرون الاحترام لتلك الاعمال المهينة التى يمتلئ بها ماضى الكبراء البغيض فيصبحون اصحاب الحظوة لديهم وكتمة سرهم والمتمتعين بحمايتهم وتغدو حاشيتهم جمعا من احط المنافقين المتملقين الذين لا خلاق لهم المهرجين المنحطين الذين لا مبادئ عندهم . »

«ثم اذا ما رأوا رجلا شجاعا مستقيما مستقل الرأى يصغى لصوت ضميره حقدوا عليه فى التو واللحظة وحاولوا القضاء عليه . والا فهلا اخبرنى الباشا لماذا طعن كديك باشا ؟ »

« . . . . »

ضغط الوزير فى رفق على اسنانه ونظر الى زائره من بين جفنين نصف

مغمضين ثم شدد من قبضته على الاوراق التى فى يده . لم يقو على ان يثور غاضبا ولكن منذ صار وزيرا بل حتى عندما كان مجرد بكلربك لم يحدث قط ان تفوه احد من معيته بمثل هذا الكلام الصريح فى حضرته .

«هل الرجل مجنون؟» تساءل الوزير الاكبر للمرة الثانية . وان لم يكن مجنونا فلم هذا الكلام الطائش؟ الا تعد مثل هذه الدرجة من الصفاقة متعارضة مع «ذوق العصر»؟ اغمض الوزير عينيه اكثر من الاول ثم تساءل فى فكره «ماذا لو امرت بقطع رأسه؟» لكن قبل ان ينادى على الحراس تعالى الى سمعه صوت خافت من مصدر غامض فى ضميره يصيح : «تمهل فانت الآخر كبقية من ارتفعوا الى مناصبهم عن طريق الملق البغيض والنفاق والضعة، لا تطيق مواجهة الكلمات الصريحة . انت ايضا لا تريد رؤية رجل شجاع امامك بل تريد كلبا يلعق اقدامك، تريد مهرجا، تريد شخصا وضيعا يبالغ فى الانحناء فى حضرتك .» عند ذاك ترك الوزير الاوراق التى كان قابضا عليها والقى نظرة ثانية على محسن شلبى فرآه بجبهته العالية التى يضىء فى وسطها اثر جرح سيف وبوجناته المتوردة ورقبته القوية البيضاء المحلوقة حديثا وبأنفه الكبير وعمامته الضيقة، رآه اشبه ما يكون بالابطال القدماء الذين ترى صورهم على صفحات الشاهنامه . اجل فذلك الرجل الذى يعلو ندب حاجبه انما هو بطل مطبوع قصر السيف عن القضاء عليه . ولما كان الوزير الاكبر رجلا حصيفا فانه لم يحاول كبت صوت ضميره الذى دوى فى ارجاء نفسه بل قال :

«هذا هو بالضبط الرجل الذى نبحث عنه، رجل لا يعرف الخوف ولا يرضى باهانة توجه الى وطنه او شعبه، لا يقبل الاعراض خشية الموت او خوفا منه .»

هز الوزير عمامته فى رفق ثم قال :

«سنبعثك الى تبريز سفيرا .»

«حولك كثير من الكتاب والمسجلين فلم لا تختار من بينهم؟»

«اتعرف من هو الشاه اسماعيل ؟ »

«اجل اعرف . »

«اتحب وطنك؟ »

«احبه . »

عند ذلك اعتدل الوزير الاكبر صاحب السلطة وجلس مستقيما ثم نظر حوله وقال : «اذا كان الامر كذلك فكل شيء على ما يرام فذلك الرجل لا يدين بالمثل القائل بان «السفير غير مسئول عن سفارته» وهو ينافسنا ويريد ان ينزل بمبعوثنا ما ليس فى وسعه ان ينزله بنا فى حلبة القتال فمن المحتمل ان يحاول تعذيبه حتى الموت فهو لا يخشى الله . ولما كانت كل اهانة يوجهها الى سفيرنا اهانة موجهة الى وطننا فنحن نريد رجلا من الطراز الذى لا يخشى الشنق اذا ما اهين بل يرد الاهانة باهانة مثلها فاذا كنت تحب وطنك ستقبل هذه التضحية » .

فاجاب محسن شلبى من غير تردد «انا اقبل يا سيدى لكن على شرط واحد » .

«وما هو الشرط؟ »

«بما ان الامر امر تضحية، وتضحية النفس امر لا يثاب عليه المرء بمرتب، فيجب ان يكون اداؤها من غير مرتب . فتضحية نفس المرء من اجل وطنه — مهما كانت طبيعة التضحية — اذا ما جوزيت بالمال لم تعد سوى امر كسب شخصى . وانا لا اريد دخلا ولا منصبا عاليا ولا مرتبا ولا شيئا آخر، فانا اعتبر هذه المهمة خدمة شرف وهذا هو شرطى . »

«لكن ايها الشاب كيف يمكن ذلك؟ لقد كان سفيره يرتدى افخر الثياب وكانت جياده وحاشيته الكمال فى ذاته . فيجب ان تكون جياد وحاشية وملابس سفيرنا اكثر فخامة واغلى ثمنا . ولذلك وجب ان نعطيك من الخزانة بضعة آلاف من القطع الذهبية . »

لم يجب محسن شلبى على الفور بل خفض رأسه لحظة ثم رفعه قائلا : «كلا لن اقبل حتى ولا قطعة واحدة من الخزانة، وسأعد انا الجياد



بأطقمها الفاخرة والخدم بكساهم وسأفعل ذلك من مالى الخاص حتى ...»
وهنا فتح الوزير الاكبر عينيه «بل وسأرتدى رداء لم يره الشاه اسماعيل فى حياته» .

«ما الذى سترتديه ؟ »

«سأبتاع القفطان المطرز باللؤلؤ الوردى الذى جىء بنسيجه من الهند وبملحقاته من البندقية وهو اليوم لسرمكش طورغلو . »

«ماذا ! ومن اين ستجد كل هذا المال يا ولدى . »

كان الوزير الاكبر على حق فى دهشته اذ لم يكن فى استانبول كلها من لم يبلغه نبأ هذا القفطان المطرز باللؤلؤ الوردى الذى تم صنعه منذ شهر مضى والذى كان طورغلو يزيد فى ثمنه كلما حاول احد من الوزراء او السفراء شراءه . لكن محسن شلبى اوضح الطريقة التى سيشترى بها هذا القفطان الشهير فقال :

«سأرهن بيتى ومزرعتى وأقترض من التجار عشرة آلاف قطعة من الذهب أنفق الفين منها على جيادى وحاشية الخدم وأبتاع القفطان بالثمانية آلاف الباقية . »

لكن الوزير الاكبر لم ير هذا التصرف مصيبا فقال :

«لكن هذا القفطان لن يكون ذا فائدة لك بعد عودتك فما هو الا رداء للعرض فقط، وستفقد فى شرائه ممتلكاتك وتغدو فقيرا . »

«كلا فانه من المحتمل ان يبتاعه طورغلو منى بعد ستة شهور بسبعة آلاف قطعة ذهبية مقابل الثمانية آلاف التى اشتريته بها، وبهذا المبلغ يمكننى تخليص الرهن عن مزرعتى . اما اذا عجزت عن دفع بقية ديونى فليكن الامر كذلك ولتذهب الدائرة التى خلفها لى والدى فداء للوطن . فلا يجب ان يؤخذ كل شئ من الدولة كل الوقت بل طبعى ان تعطى بعض الشىء . »

« . . . . . »

زادت دهشة الوزير الاكبر باستمراره فى الحديث مع محسن شلبى لكن

جزعه اختفى وتأكد له ان هذا الرجل هو الذى يصلح لالزام عاهل محدث مكانه . فضحك ونقل قلنسوته .

ان وزراء المجلس الحريصين المدبرين الجبناء الذين يتعلقون بأرواحهم وبما ملكوا اشد التعلق لو ان احدا منهم اختير ليكون سفيرا لانصرف تفكيره الى الهدايا التى ستقدم اليه اكثر مما ينصرف الى حفظ شرف بلاده ولما وجد غضاضة فى اية اهانة توجه اليه . بعد ذلك اراد الوزير الاكبر ان يستبقى محسن شلبى للطعام لكنه لم ينجح فرافقه عند انصرافه حتى القاعة .

وفى خلال ستة شهور تمكن محسن شلبى من رهن مزرعته الكبيرة وبعمل البانه ومنزله ومخازنه وحديقته وحديقة الخضروات وجمع المال من التجار واعد الخيول والحاشية، وكان كل منهم على ابهة لم ير لها مثيل . وابتاع كذلك القفطان اللؤلؤى الشهير من طررغلو على شرط ان يشتريه هذا ثانية مقابل سبعة آلاف قطعة ذهبية عند عودة محسن . فترك زوجته الشابة وطفليه لدى احد اقربائه تاركا من المال ما يكفى للانفاق عليهم لستة شهور ثم وضع الرسائل فى صدريته وبدأ رحلته . وعلى كل مراحل تقدمه كانت انباء ابهة هذه السفارة وعلى الاخص شهرة القفطان اللؤلؤى تنتشر حتى عمت كل الاناضول وتعدتها الى مملكة الشاه اسماعيل .

وذات يوم دخل محسن شلبى حصن تبريز فى ابهة وفخامة . وعندما شاهد اهل هذه العاصمة الصغيرة المغرمون بالزينة والفخامة والالوان والحلى القفطان اللؤلؤى عمهم الاعجاب وغلبت عليهم الدهشة فسرى نبأ القفطان فى كل المدينة وغدا موضع حديث الاجتماعات فى القصر . لم يكن الشاه اسماعيل قد سمع عن اللؤلؤ الوردى الا فى القصص الخرافية ولم يكن قد رأى قفطانا حقيقيا مزينا بها ولذلك امتلأت نفسه بغضاء دفينة لهذا السفير الغنى الذى يملك ما لم يره هو بعد فعقد العزم على ان يرهقه بالاهانات بغية ارغام انفه . فقبل ان يسمح له بمقابلته اوقف الجلادين خلف العرش على استعداد، كما امر باخلاء المكان المقابل للعرش من



الارائك المطرزة والابسطة الحريرية ثم اوقف الوزراء عن يمينه والجنود عن يساره .

ومن الباب الواسع ذى الاقواس المصنوعة من المرمر الملون دخل محسن شلبى بخطى طليقة لا ارتباك فيها يسير على عادته شامخ الرأس ثم اخرج الرسالة من جيب صدريته فقبلها ثم ضغطها على جبهته وقدمها الى الشاه الذى كان يتأمل بهدوء هو اشبه بهدوء طائر صيد غريب خصوصا وهو مرتد ثوبا اختلطت خيوطه الحريرية الحمراء والخضراء بالزرقاء والبنفسجية بدت محاطة بجدائل من الذهب وريش من ذيول الخيل واعلام مختلفة . وعندما لم يقبل محسن اقدام الشاه التفت هذا فى ثورة غضب اختفى منها البياض من عينيه واخذ الوثيقة وعندما انسحب محسن شلبى من امام العرش نظر حوله فلم يجد شيئا يجلس عليه فابتسم وناجى نفسه قائلا «لعلهم ارادوا اجبارى على البقاء واقفا اظهارا للاحترام لهم» ثم أعمل فكره لحظة يحاول اتيان تصرف يرد به الاهانة على متعمديها فهب لتوه والقى قفطانه بما حمل من لؤلؤ وردى وفرده على الارض امام العرش الامر الذى اطار لب الشاه اسماعيل ووزرائه وقواده وبعث نظرات الدهشة فى اعينهم، ثم جلس محسن القرفصاء على هذا القفطان الثمين وصاح بصوت جهورى رددت دويه صور التنينين التى تزين الحيطان وقبة القاعة المذبة واقواسها المحلاة بالذهب :

«ان السلطان الذى قدمت اليك برسالته هو سليل اوغوز خاقان وهم قوم لم يكن احد منهم عبدا منذ بدء الخليقة، بل كانوا كلهم ملوكا

وكلهم عواهـل . ومبعـوث شعبنا الذى دنت له السيـادة منـذ نشأة العالم لا يخفض رأسه فى حضرة اى حاكم اجنبى لانه ليس بين شعوب الارض من يدانى شعبه نبلا ولانه . . . . »

وبينما كان محسن شلبى الذى لا يتكلم الفارسية يصيح بكلماته فى اقسى العبارات التركية كان حلم الشاه قد بدا يزاوله وعلت الصفرة والزرقة وجهه على التناوب كما اهتزت الوثيقة التى كان لا يزال محتفظا بها مع اهتزاز يده . لكن محسن شلبى استمر فى صياحه الامر الذى جعل الدهشة تسود وزراء الشاه وجلاديه وقواده عجبا من امر صبر مليكهم على ذلك واصطباره عليه الى درجة ان بعضا منهم بدأوا يتذمرون . اما محسن شلبى فما انتهى من حديثه حتى نهض لم يطلب اذنا بالانصراف ولا شيئا من هذا القبيل بل سار مباشرة الى الباب تاركا الشاه اسماعيل ملجم اللسان دهشا وقد خلفتـه فى هذا اليوم كبرياؤه بعد لقائه مع هذا التركى المنفرد، تلك الكبرياء التى ارغمت بعد ذلك فى تراب موقعـة شالديران . وعند انصراف محسن شلبى قال الشاه اسماعيل للذين كانوا مثله فى حالة دهشة وتزعزع :

«اعطوه قفطانه . »

فجرى احد الجنود والتقط القفطان الملقى على الارض امام العرش وحمله الى المبعوث التركى قائلا :

«عفوا ياسيدى، لقد نسيت قفطانك . »

فوقف محسن شلبى والتفت الى الباب الذى ترك القاعة منه قائـلا بصوت جهورى وصل الى مسامع الشاه :

«كلا فأنا لم انسه، بل تركتـه لكم فليس فى قصركم ابسطة ولا مراتب تجلسون عليها سفير دولة عظيمة . »

وقفل محسن بتوه عائدا مسافرا الليل والنهار بأقصى سرعة وسع جواده السير بها عبر طرق سبق له قطعها، وما وصل اسكدار حتى كان جرابـه خلوا من النقود .

وهناك التفت الى حاشيته الفخمة وقال :

«ابنائى اقدم لكم هدية الجياد التى تمطون صهواتها بسروجها واطقمها وكذلك الثياب التى ترتدونها والخناجر المطعمة بالحلى التى تتمنطقون بها .

«هل تعرفون بأى حق طلبت اليكم القيام بكل التضحيات التى قمتم بها من اجلى ؟ »

«اجل نعلم، وانه لنفس الحق الذى يخول لنا رضاعة البان امهاتنا . »

وبمجرد ان سمع محسن اجابتهم طلب اليهم الرحيل ثم استنشق الهواء عميقا وسارع الى شاطئ البحر دون المرور الى منزله ومن هناك قفز فى قارب حمله الى قصر الوزير فأخبره كيف سلم الوثيقة الى الشاه وانه لم يواجه باهانة بل انه عاد الى استانبول من غير التنازل بطلب اذن الشاه بذلك . وقد كان الوزير الاكبر حتى قبل سماع هذا التقرير على يقين من ان محسن ادى رسالته بكل تفاصيلها وبكل امانة . وبعد ذلك سأله الوزير عن اشياء اخرى عن رحلته وعن اعوانه وعن مختلف الاسر. وعندما نهض شلبى بالانصراف سأله الوزير :

«اين القفطان يا ولدى ؟ انى اود شراءه . »

«لم اجلبه معى . »

«هل بعته فى بلاد الفرس؟ »

«كلا لم ابعه . »

«هل سرق ؟ »

«كلا . »

«فماذا فعلت به . »

«لا شئ . »

« . . . . »

اصر الوزير الاكبر على غايته وكرر سؤاله المرة بعد الاخرى لكنه لم يصل الى معرفة ما آل اليه امر القفطان .

لم يكن محسن شلبى شخصا خائرا ضعيف الروح فيتفاخر بما اتاه .

وهكذا عاد فى المساء الى اسكدار وعندما اقبل الصباح حضر طورغلو لاستعادة القفطان مقابل سبعة آلاف قطعة ذهبية فلم يخبره ماذا صنع به .

ولم يتمكن احد من اهالى استانبول الذين كانوا متشوقين الى معرفة حقيقة ما حدث من الوصول اليها ولا الى معرفة المكان الذى ترك فيه القفطان او السبب الذى ترك من اجله . وهكذا اختفت الحادثة التى وقعت فى قصر تبريز بين طيات ظلام التاريخ .

(مترجم من الاصل التركى .)

لورنس بنيون
الشاعر المستشرق

«لورنس بنيون» اسم يعرفه كل محبى الفن الشرقى ولا سيما فن الرسم الدقيق المصغر الذى برع فيه الفرس. ذلك ان بنيون حجة فى الرسم الشرقى وقد كتب عدة كتب قيمة فى هذا الموضوع، وما كتبه عن الفن الفارسى بنوع خاص كان له أثر فى ازدياد محبى هذا الفن بين الشعوب المتكلمة بالانجليزية. ولقد خط قلمه كثيرا من المقالات والفصول الطريفة حول هذا الموضوع ولعل أجلها شأنا وأكثرها جمالا كتابه الرائع «اشعار النظامى» الذى نشر فى سنة ١٩٢٨ وهذا الكتاب الضخم يصف مخطوطة نفيسة لخمسة النظامى تاريخها من سنة ١٥٣٩ إلى سنة ١٥٤٣ وهو محلى بصور ملونة كاملة الحجم لأبدع الرسوم الدقيقة لهذا العصر الذى يعد العصر الذهبى للرسم الفارسى.

ثم إن بنيون حجة لا نظير لها فى الرسم الصينى وقد كتب كثيرا فى هذا الموضوع أيضا. وذلك أنه قد ألقيت عليه لسنوات كثيرة مسئولية الاشراف على المجموعة البارعة الممتازة من الرسوم الشرقية المحفوظة فى المتحف البريطانى فأتاح له ذلك فرصة طيبة لدراسة الفن الشرقى من جميع نواحيه واستغل هو هذه الفرصة أحسن استغلال فى تفسير هذا الفن إلى العالم الغربى.

ولعل أبناء الشرق لا يعرفون أن بنيون إلى جانب براعته وحذقه الممتاز فى ميدان الخبرة بالفن الشرقى هو يعتبر من أعاظم الشعراء فى بريطانيا وفى الحق أن الشعوب المتكلمة بالانجليزية تعرفه كشاعر أكثر مما تعرفه كخبير بالفن. ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن أشهر قصيدة نظمت فى اللغة الانجليزية خلال حرب ١٩١٤—١٩١٨ هى قصيدة أنشأها بنيون. فما أن نشرت هذه القصيدة التى حملت هذا العنوان

البسيط «إلى الصرعى» حتى ذاعت فى العالم قاطبة وإن أبياتها لمنقوشة على كثير من نصب الحرب التذكارية فى أرجاء الامبراطورية البريطانية ولقد ازدادت شهرة وذيوعا حين لحنت تلحينا موسيقيا وكان ملحنها السير إدوارد إلجر المشرف على موسيقى البلاط الملكى. ولكن قصيدة «إلى الصرعى» تمتاز على اكثر القصائد التى حظيت بالشهرة والذيوع بأنها حائزة لسمو التفكير إلى جانب سلامة التعبير. وقل أن اظهرت قصيدة فى الأدب الانجليزى بأجمعه عاطفة الشعب التى استثارتها المحنة الشديدة استثارة بالغة كما فعلت قصيدة بنيون، وقل أن عبرت قصيدة مثل تعبيرها فى ألفاظ جمعت بين الانفعال والرزانة عن آلام الشعب الذى يبكى شبابه المهراق بدموع ممزوجة بالفخار والكبرياء. فاستمع إلى قوله :

تبكى انجلترا موتاها عبر البحار بكاء يمازجه الامتنان والفخار كالأم على أولادها. فلقد كانوا فلذة كبدها وقبس روحها سقطوا صرعى فى سبيل الحرية.

الطبول تدق فى أسى جليل سام. والموت فى روعته الملوكية يرسل ألحان اللوعة فى أجواء الخلود. إن بين الخراب والدمار لموسيقى تصدح. وإن فى دموعنا للمعة المجد.

يالها من كلمات باسلة جدير بها هذا الشعب الباسل. وحتى فى ساعة الحزن البالغ يعلن بنيون فى طرب وجذل ثقته بأن الأبطال المجندلين قد ظفروا بالخلود وأن ذكراهم ستبقى حية فى قلوب أمتهم فهو يقول :

ولكن بين جوانحنا أملا وثقة بالغة عميقة كعين الماء المستترة عن الأبصار، أنهم محفوظون فى سويداء القلب من وطنهم كما يحفظ الليل النجوم فى أحشائه.

تلك النجوم التى ستظل تسطع وتدور فى أفلاكها السماوية بينا نحن قد حرنا ترابا. نعم سيبقون إلى الأبد، إلى الأبد كتلك النجوم التى تتألق نوراً بينا نحن قد عدنا إلى ظلامنا الدامس.

كم تفيض هذه لأبيات الرائعة بنفس الروح السامية التى ينبض بها بيتا المتنبي حين يقول :

إذا غامرت فى شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير   كطعم الموت فى أمر عظيم

إن شعر لورنس بنيون يمتاز ببراعة غنائية وحساسية بالغة تذكرانا بما ناله شلى ووردزورث فى هذا المضمار. وهو كان دائما من أشد الناس إعجابا بشعر وليم بليك الذى يعده جمهور الناقدين أبدع شاعر متصوف فى الأدب الانجليزى فليس من الغريب اذن أن نجد فى قصائد بنيون لمحات من الفكر الصوفى مصوغة فى عبارة دقيقة بارعة وإليك مثالا لهذه الميزة بضعة أبيات من قصيدته «فى المستشفى» وهى أول قصيدة فى آخر كتاب نشره بنيون وهو كتاب «نجم الشمال» المطبوع فى سنة ١٩٤١ . فالشاعر مستلق على فراش المرض فى أحد المستشفيات وما أن تنبثق أولى انوار الفجر حتى يرى شبح نبال سماوى قد مثل بين يديه ممسكا بقوسه ومتأهبا للرمى . يقول بنيون :

ذلك الرامى العظيم الماثل أمامى مفتول العضل مجدول البنيان
لو أنه حنى قوسه لشد السهم ببطء إلى محاذاة أذنه،
إذن أبصر انحناء جسده المشدود يتبدل فجأة، وما أن ينطلق
السهم المسدد حتى يهبط ساعداه ويتراخى كتفه وعجزه .
ولكن لماذا يظل وجهه مستترا؟ ولماذا يدق قلبى خوفا أن يتجلى
ويبدو هائلا فى سكون وهدوء هائلا فى جمال وقوة؟
أيها الرامى المجيد : لماذا تخفى وجهك؟ لو أننى استطيع أن أراك
لكان مجدا لى أن يصرعنى السهم النافذ وأنا أتملى صورتك .

ليس بغريب أن الشاعر الذى برع فى تفهم الفن الاسلامى وتفسيره يرينا فى شعره قدرا غير قليل من تأثير فكر الشرق وخياله . وعلى سبيل المثل نذكر هنا قصيدته الطويلة المسماة (انجكور) التى يقص فيها قصة

سليمان وبلقيس، تلك القصة التى طالما اتخذها الأدب الاسلامى موضوعا فنيا . ولا يسمح لنا ضيق الفراغ هنا بأكثر من اقتباس بضعة أبيات تصور لنا جلال شعره وإبداع نظمه :



آخر صورة أخذت للورنس بنيون .

جلس سليمان وبلقيس جنبا إلى جنب على عروس شامخة، واجتشدت حولهما طيور الهواء الوضاحة بريشها المتعدد الألوان . وكان الملك يعرف أصواتها، وكان أيضا يسمع صوت الأسد فى الصحراء النائية .

لم يتحدث سليمان عن ما اجتمع له من البهاء والروعة ولا عن الأشياء التى أراها إياها مما يفوق حد التصديق أو الأقاويل، حتى انخلع قلبها دهشة . أراها كل هذه الغرائب المبدعة وما ترك سؤالا وجهته اليه إلا أجابه .

ولكنه تحدث عن الهيكل الذى شيده حديثا لعظمة الله الذى لا يرى، الله خالق البشر طرا، خالق سليمان وحكمته، ذلك الهيكل الذى بنى ليخلد على كر الزمان .

إذ ذاك خيم عليهما الصمت وأدركهما المساء . وأرسلت الشمس المائلة للغروب سهامها إلى ذلك المكان الشامخ فى بيت المقدس فزادت الهيكل روعة إلى روعة فبدا كأنه شمس الخلود تتأجج أمام أعينهما .

ونحن نجد بنيون إلى جانب ذلك مغرما بالريف الانجليزى . فالقصيدة التالية له تردد صدى تلك الكلمات المشهورة التى هتف بها روبرت براونتج :

«آه ياليتنى كنت فى انجلترا الآن وقد أقبل إليها شهر ابريل .» يقول بنيون:

أيتها التربة الانجليزية الراقدة فى خضرة لانهائية بين البحار الزاخرة المائجة،

حين تقبل الطيور من الجنوب الخاوى إلى الأشجار القديمة، أشجار الصفصاف والدردار والحسك والبلوط، تلك الأغصان التى تعرفها.

ما انعم الاقامة فى أيك شهر مايو، إذ ينمو العشب ويرتفع سامقا حول الأزهار الانجليزية .

ولقد شاء القدر أن هذا الشاعر الذى رثى صرعى الحرب الكبرى الأولى ذلك الرثاء الممزوج بالفخار والكبرياء، يعيش حتى يرى وطنه المحبوب بل الحضارة جمعاء تهددها مرة أخرى جموع الوحشية والظلام. فنجده فى الحرب الحالية قد فاض يراعه بأبيات تملكت أعماق القراء من الشعوب المتكلمة بالانجليزية إذ صورت فى نبل وسمو تلك العاطفة الجياشة التى تفيض قلوب الرجال – نعم وقلوب النساء والأطفال – الذين يقاتلون ليصونوا كل ما يعدونه شريفا نبيلا . فهو يقول :

أيها الضياء الذى به نحيا ونتبض بالحركة، شع فينا الآن من نورك ونحن أجمعون كائن حى واحد مع تربتنا المحببة . املأ شغاف صدورنا بقوة تشد أزرنا فى هذه الموقعة الأخيرة من مواقع الروح !

ومن يراع بنيون فاض أسمى تقدير خالد حازه الطيارون المحاربون فى سلاح الطيران الملكى، اولئك الذين كانوا بين «البسلاء القلائل» الذين تقدموا لينقذوا انجلترا وقضية الحرية فى صيف سنة ١٩٤٠ . جاءوا إليها من أطراف الامبراطورية البريطانية ليلقوا تحدى العدوان النازى ويهزموه فى سماء انجلترا . فاستمع اليه وهو يتغنى :

لسرعان ما انضموا الى زملاء أفذاذ ما لهم من نظير . هم زهرة بريطانيا وفخارها، يهزأون بالهول الزاهى بنفسه ويسخرون من كل المخاطر، يركبون فى غبطة أجنحة الهواء فى سبل الأجواء .

من بعيد يكافحون فى سبيل جزيرتنا التالدة، صاعدين إلى أعلى مقاليد الهواء، وهابطين للوثب والهجوم، متملكين أعنة السماء. يصغى اليهم فى ظلمات الليل تلك الشعوب التى اغتيلت وقهرت فتضطرب أفئدتها بالأمل إذ تستمع إلى السحب تضطرب برعدهم.

هم يقبلون سربا بعد سرب من أطراف المحيط فوق البحار حيث تتربص المخاطر ليجازفوا بأنفسهم فى بطون الأهوال الفائقة حد التصديق. كيف نحييهم حقا؟ ليس من كلمات ولا من أناشيد توفى هؤلاء حقهم.

لورنس بنيون، الشاعر المستشرق، آخر درة فى القلادة الانجليزية المزدحمة بالدرر الغوالى، كان يشرف، وهو فى مساء حياته، بوجه طلق بشوش على الدنيا الغنية بالجمال، روحا زاخرة بالجمال، قد تبينت فى جلاء ذلك الحق المحتوم الذى يكمن فى لباب كل كائن. لقد كان فى صحبة الحق والجمال خلال سنوات طوال، وهاهو الآن ينطق بهذه الرسالة إلى عالم طالما تعامى عن شعاع الحقيقة المبين إذ زان على بصره تلك الغشاوة الباهرة التى يتنكر الوجود الكاذب وراء وجهها الخلاب:

كم حلمت من أحلام مضت الآن هباء. ما كان ازرى منظر الحياة إذ انعكست صورتها فى جدول مظلم عكر!

أما الآن فقد ارتاحت نفسى من الأشياء الكائنة، وما أتراجع فى خزى وخجل إذ أرى النفس عارية مجردة أمام النفس.

انى لأحب الجسد المجرد للأشجار العارية قد ارتفعت بلا حجاب، ارتفعت فى السكون وفى العاصفة، اكثر مما أحب سحب الأوراق الناعمة الملساء.

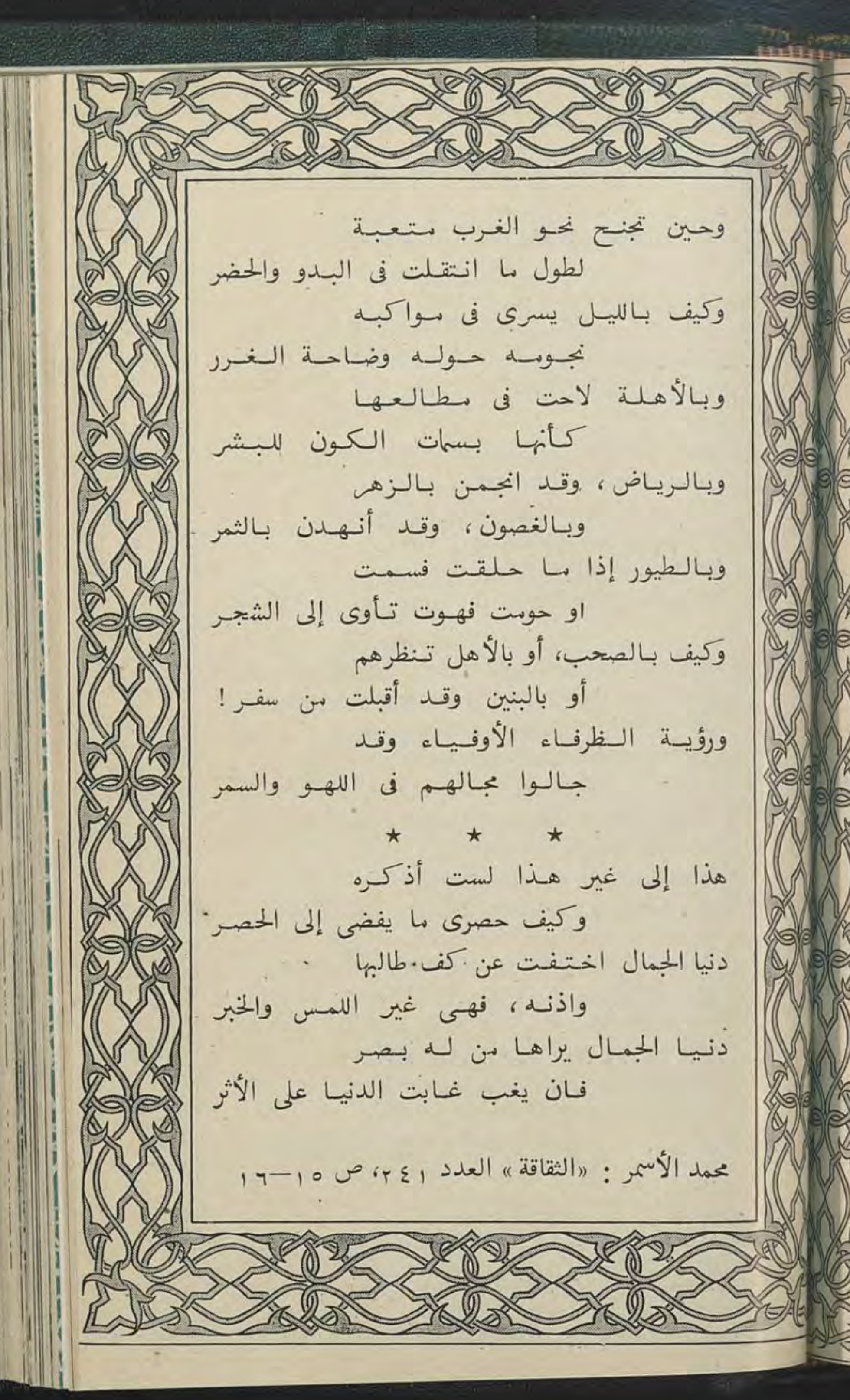
قد انكشفت هزالة الحبة والسداة والعقدة، لا شىء يزيف عاهة الطبيعة أو التلف الذى أحدثه مر السنين البطاء.

قد ارتاحت نفسى من الشىء الكائن. الريح تجرف الطريق العارية، هذه هى السبيل إلى المثوى الأخير.



دنيا المرئيات

يا رب ابق الذى أبقيت من بصرى
حتى أرى حسن ما أبدعت فى الصور
من كل (شكل) (ولون) فى جمالهما
ما فيه من بهجة للنفس والنظر
ما أجمل العالم العلوى من (سحب)
ومن (نجوم) ومن (شمس) ومن (قمر)
وأجمل الأرض من (سهل) ومن (جبل)
ومن (رواب) ومن (بحر) ومن (نهر)
فى كل شىء جمال حين تنظره
حتى الدياجى بها ما شئت من حور
حتى القرود ! ! فما تخفى ملاحتها
حتى الكواسر من ليث ومن نمر
يكفيك من رؤية الأشياء رؤيتها
ولو نظرت إلى أفعى على حجر
فكيف بالكون يصحو بعد رقدته
وقد تبسمت الأضواء بالسحر
وكيف بالشمس دبت نحو مشرقها
وحين تطلع منه طلعة الحذر



وحين تجنح نحو الغرب متعبة
لطول ما انتقلت فى البدو والحضر
وكيف بالليل يسرى فى مواكبه
نجومه حوله وضاحة الغرر
وبالأهلة لاحت فى مطالعها
كأنها بسمات الكون للبشر
وبالرياض ، وقد انجمن بالزهر
وبالغصون ، وقد أنهدن بالثمر
وبالطيور إذا ما حلقت فسمت
او حومت فهوت تأوى إلى الشجر
وكيف بالصحب، أو بالأهل تنظرهم
أو بالبنين وقد أقبلت من سفر !
ورؤية الظرفاء الأوفياء وقد
جالوا مجالهم فى اللهو والسمر

★ ★ ★

هذا إلى غير هذا لست أذكره
وكيف حصرى ما يفضى إلى الحصر
دنيا الجمال اختفت عن كف طالبها
واذنه ، فهى غير اللمس والخبر
دنيا الجمال يراها من له بصر
فان يغب غابت الدنيا على الأثر

محمد الأسمر : «الثقافة» العدد ٢٤١، ص ١٥-١٦

Turns in long marches to the west
To find its setting and its rest.
Attended by her starry train
Night moves upon the heavenly plain;
The crescent moon reveals again
Creation's laughter unto men.

And there are gardens gay with flowers,
Fruit-burdened branches, leafy bowers
Where birds ascend on wheeling wing
Or stand low-poised and hovering
Instant to fall and find their ease
Within the refuge of the trees.

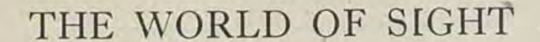
Friends, too, and folk their gladness bring,
And sons that greet thy incoming;
The gossip of companions gay
To while the idle hours away . . .

These, and a thousand things as well
My pen is powerless to tell;
Too fine this world of beauty is
For hand to hold its subtleties,
It has of loveliness too much
To be revealed to ear and touch.
His only may the Vision be
Whom God hath given eyes to see:
But be this light extinguished,
And all the world is dark and dead.

MUHAMMAD AL-ASMAR.

A.J.A.

THE WORLD OF SIGHT



Lord, Who hast given me to see,
Preserve, I pray, this sight in me;
Nor suffer from mine eyes to fade
The beauteous shapes that Thou hast made.

Each lovely thing of form and hue
Delighting heart and vision too;
Such clouds as ride the upper air,
Stars, sun, and moon that journey there;
All plains and mountains, every hill
That doth this earth with beauty fill;
Seas, rivers, whatsoever things
Beauty indwells, and vision brings
Displayed to the beholding eye;
E'en darknesses that deeply lie,
E'en apes and lions, that possess
Their proper sort of shapeliness;
The viper, nestled on a stone,
That has a beauty of its own;
Enough it is for thy delight
To have these things within thy sight.

How much the greater, when thine eyes
Behold creation's self arise
From slumber, and each radiant beam
With magic laughter newly gleam!
When from its couch the slow sun creeps
And o'er the sky's rim shyly peeps;
Or, wearied by its journey lone
Above the desert and the sown,

تعلم اللغة الانجليزية

انها لحقيقة لا شك فيها ان اللغة الانجليزية هى اكثر اللغات انتشارا فى العالم . وليست اسباب انتشارها هى مجال البحث هنا بل دعنا نقبل الحقيقة على علاتها وننتقل الى البحث فى النتائج التى تترتب عليها .

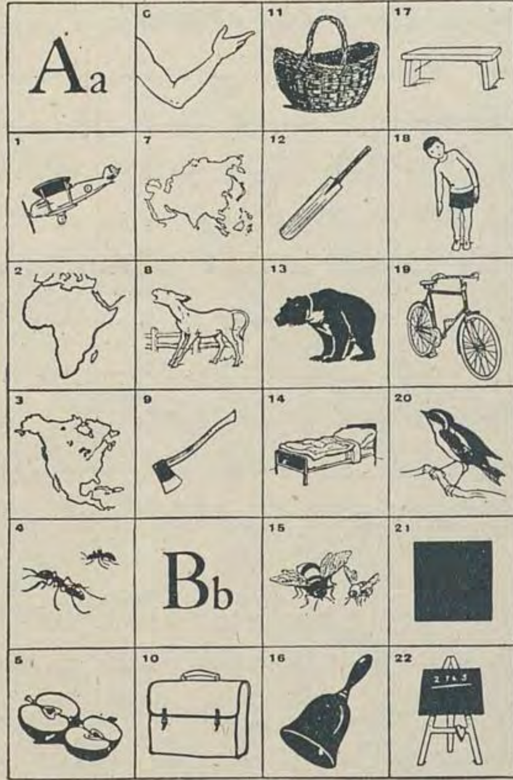
بالنظر الى ان رغبة الناس فى تعلم اللغة الانجليزية هى فى كل البلاد فى زيادة مطردة فقد اصبح من الواضح ان اول الامور اهمية هو تبين احسن الاساليب التى يمكن بها تعلم هذه اللغة بسرعة واتقان . وقد كان هذا الموضوع محل اهتمام كبير من الاخصائيين فى اللغة فى السنين الاخيرة . ويمكن اليوم بعد ان تعرضت كل الاساليب لمحك التطبيق العملى ان نقول ان هناك من الشواهد ما يكفى للحكم على صلاحية مختلف النظريات .

يجمع الاخصائيون على ان اول مستلزمات تعلم اللغة الانجليزية بسرعة هو التحكم من مجموعة كلمات . وهذا يعنى وجوب ارشاد المبتدئ الى تركيز جهده فى اول الامر فى استيعاب مجموعة كلمات مختارة تفى للتعبير عن الحاجيات العادية وتمهد الطريق لمعرفة ادق باللغة فيما بعد . ومن المحقق ان اشق مراحل تعلم اللغات هى ولا شك مرحلة حفظ الكلمات، فليس هناك شئ ادعى الى الملل من الاضطرار المستمر للرجوع الى القاموس كما انه ليس هناك لارهاق المبتدىء ولا ادعى لسأمه من اصطدامه بكلمات غريبة غير مفهومة .

حقا ان لمعظم اللغات قواعد لغوية صعبة على الفهم معقدة يجب على الطالب دراستها قبل ان يحقق اى تقدم يذكر سواء اكان فى القراءة ام فى الكتابة . لكن لحسن الحظ كانت قواعد اللغة الانجليزية سهلة، بل هناك من يبالغ قائلا بانه ليس فيها قواعد على الاطلاق . اما مسألة الاصطلاحات ذات المعنى الخاص فهى بطبيعة الحال مشكلة منفصلة . فكل لغة، وعلى الاخص

Specimen page of the PICTURE DICTIONARY

(i) The **Picture Dictionary** illustrates 200 words, alphabetically arranged. The ten pages of carefully selected pictures make **Direct Method** work attractive and helpful.
(ii) The 200 words are made up of 100 pairs: e.g. arm-leg, hand-foot, dog-cat, black-white, run-walk, stand-sit, &c.
(iii) There are fifty pairs of rhyming words: e.g. cat-sat, hen-pen, king-wing, box-fox, gun-sun, book-cook, gate-plate, &c.
(iv) There are four key-words for each vowel sound and three key-words for each consonant sound (initial, medial, and final whenever possible).
(v) These 200 words have been chosen from lists of words of especial interest and usefulness for older schoolchildren. They are used in many ways, both for teaching and testing.



SPECIMEN PAGE

[6]

صفحة نموذجية من القاموس المصور.

لغة قديمة العهد غنية بآدابها واساطيرها تحوى ثروة من هذه الاصطلاحات، واللغة الانجليزية مليئة بها . لكن المعرفة والفهم الدقيق لك الاصطلاحات التى هى امر ضرورى للوصول الى اتقان اللغة لا تأتى الا مع الصبر وبعد المران الدقيق .



ولنعد الى مشكلة حفظ الكلمات . رأينا ان الاخصائيين قد قاموا فى السنين الاخيرة بابحاث مستفيضة فى الكلمات الانجليزية المتداولة فى الاستعمال العادى بقصد جمع قائمة تشمل ادنى عدد من الكلمات التى يلزم المرء معرفتها لفهم ما يقال والتعبير عما يريد . ولعلنا نشير بوجه خاص الى ابحاث الدكتور لورنس فوسيت من خريجى جامعة اكسفورد فى هذا الموضوع . صرف الدكتور فوسيت اثنتى عشرة سنة من حياته فى تدريس اللغة الانجليزية بالصين واليابان والهند والملايو وجزائر الفلبين وافريقيا، وقد كانت خبرته العملية هى الاساس الذى بنى عليه ابحاثه النظرية فى طريقة التحكم من مجموعة من الكلمات . ولقد اثبت الدكتور بعد تحليله لمجموعة متنوعة من القطع الانجليزية النثرية غير الفنية ان مجرد ١٢٠٠ كلمة تستغرق ما يزيد عن ٨٠٪ من الكلمات التى وردت فى النماذج التى امتحنها . وقد عنى هذا انه بتعلم هذه الكلمات الـ ١٢٠٠ (على مختلف معانيها العادية وفى صلتها بالكلمات الاخرى) يمكن للطالب الحصول على اساس صالح لتفهم اللغة الانجليزية والتكلم بها .

وعندما وصل الدكتور فوسيت الى هذه النتيجة بدأ العمل فى وضع نظام جديد لتدريس اللغة الانجليزية على اساس التمكن من حفظ مجموعة من الكلمات كان غرضه منه تموين الطالب بسلسلة من كتب المطالعة متصاعدة فى الصعوبة كيما يتمكن على مراحل بسيطة متدرجة من الوصول الى الفهم والتكلم بلغة انجليزية حسنة سليمة . وفى هذه المرحلة من بحثه قدم الدكتور فوسيت نظرياته وخطته لمطبعة جامعة اكسفورد . وكانت هذه خطوة طبيعية بالنظر للكثير الذى قامت به مطبعة جامعة اكسفورد من البحوث العلمية فى اللغة الانجليزية ومن نشرها على العالم، منها «قاموس اكسفورد للغة الانجليزية» . ومن المؤكد ان هذا العمل الضخم الذى يحوى عشرات المجلدات وعشرات الالوف من الصحائف يجعل من هذا القاموس خير قواميس العالم . وما ذاك الا

...ثل منفرد على الخدمات العديدة التى قدمتها مطبعة جامعة اكسفورد
...دراسة اللغة الانجليزية .

Book I

WORD RECOGNITION TEST

No.		
1	ass dog cat	pig glass frog
2	doll gun bag	fan flag man
3	hat cap rat	bat map house
4	moon car star	run sun spoon
5	sit whip white	shut hit kite
6	book fox cook	box four door
7	gate house ball	wall mouse plate
8	hen clock cock	duck pen pencil
9	sheep boat sleep	goat bed coat
10	stand hand bow	cow foot sit

DRAW A CIRCLE ROUND THE CORRECT WORD

WRITE YOUR NAME HERE ____________

WRITE YOUR CLASS NUMBER HERE ____________

WRITE THE DATE HERE ____________

WRITE THE NAME OF YOUR SCHOOL HERE ____________

For the Teacher: SCORE

CORRECT 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 TOTAL.....

96

صفحة نموذجية أخذت من نص كتاب تعرف الكلمات .

Specimen Lesson in LANGUAGE BOOK ONE

(A Reading Book Lesson and the corresponding Language Book Lesson form one unit)

The Lessons in **Language Books I and II** are not all of one form because at one stage pronunciation must be stressed, at another stage penmanship, and similarly at other stages spelling, conversation, formal grammar, composition, translation, &c. The following Lesson is taken from **Language Book I (Part II)**.

FORTIETH LANGUAGE DRILL
CAN AND CANNOT

Teacher. Can you write your name in English?
Pupil. Yes, I can.
Teacher. Can you read an English newspaper?
Pupil. No, I cannot. (No, I can't.)

Question Formula 40

Q. 40. Where is ——? It is ——.
1. Where is my fountain-pen? It is on your table.
2. Where is your note-book? It is in my desk.
3. Where is the box of chalk? It is under your table.
4. Where is there a —— in this book? There is a —— on page ——.
5. Where can I find a picture of two people doing house work? You can find this picture on page ——.

Commands

1. Point to your face (head, throat, tongue).
2. Go out of the room. Then come into the room quickly.
3. Go out of the room. Then come into the room slowly.
4. Find the picture of Dr. Hill's daughter (son, wife).

A Test: Write the numbers of the pictures of these words:

A ship. . . .	A cook. . . .	Blue. . . .	Jumping. . . .
A train. . . .	A stove. . . .	Brown. . . .	Bowing. . . .
An airplane. . .	A cage. . . .	Purple. . . .	Bending. . . .

Dictation: make cake face trace tracing jump jumping head dish help stove wash can cannot into who whose whom theirs where there cages few news

Reading Card: Draw a purple line.

64

SPECIMEN PAGE

NOTES

1. **Dialogues.**
The memorizing of short conversations, dialogues, and playlets ensures an understanding of idiomatic language, used naturally in customary contexts.

2. **Question Formulas.**
One new formula is provided for each lesson. By means of these formulas the teacher can make additional exercises for Direct Method teaching. The formulas introduce gradually the grammar particles of English. The pupils learn how to ask questions.

3. **Commands.**
For testing the pupil's comprehension of spoken or written English.

4. **Tests.**
Used with the *Picture Dictionary*.

5. **Dictation.**
Known words are systematically grouped.

6. **Reading Cards.**
For training in rapid reading.

[7]

صفحة نموذجية أخذت من كتاب اللغة الرقم الأول .

وبعد اختبار دقيق لطريقة الدكتور فوسيت حازت الطريقة الموافقة واخذت مطبعة جامعة اكسفورد على عاتقها طبع ونشر سلسلة من الكتب اساسها نظرية فوسيت فى تدريس اللغة الانجليزية . وقد روعى فى هذه

الكتب ان تكون منهجا لدراسة اللغة الانجليزية فى مدة خمس سنين دراسية، يلقن الطالب فى المرحلة الاولى منها ٥٠٠ كلمة بطريقة تدريجية سهلة، وفى المرحلة الثانية يزاد عدد الكلمات الى ١٠٠٠ كلمة، وفى المرحلة الثالثة يستوعب الطالب ١٥٠٠ كلمة . واعيدت كتابة عدد من الكتب الادبية الانجليزية الشهيرة على اساس الكلمات التى حصلها الطالب كما طبعت عدة كتب مطالعة متدرجة فى مواضيع متنوعة القصد منها زيادة تحصيل الطالب من الكلمات وابلاغه ٥٠٠٠ كلمة وهى مرحلة يمكنه عندها قراءة اى كتاب نثر حديث دون الالتجاء الى القاموس الا بالندرة .

ومن اظهر الميزات الهامة فى طريقة فوسيت انها تلقن الطالب اللغة الانجليزية سليمها مع اصطلاحاتها الخاصة منذ البداءة على حد سواء . وهى من هذه الوجهة تختلف اختلافا اساسيا مع بعض الطرق الاخرى وعلى الاخص طريقة «الانجليزى حسب قواعده» التى هى فى الواقع تلقن الطالب لغة تختلف بعض الشىء عن اللغة الانجليزية السليمة . فالطالب الذى يتبع طريقة فوسيت يمكنه فى نهاية دراسته ان يتكلم ويقرأ ويكتب اللغة الانجليزية بطلاقة وسلامة . ويثبت نجاح هذه الطريقة ونجاح المنهج الذى اعدته مطبعة جامعة اكسفورد لتدريسها بوضوح من ان نسخا من منهج اكسفورد قد اختيرت رسميا او اشير باختيارها لتدريس اللغة الانجليزية فى كل من تركيا والعراق ومالطة ومقاطعة الرأس والناتال وروديسيا الجنوبية وكينيا واوغنده وبعض المستعمرات الانجليزية فى افريقيا وعدة مقاطعات فى الهند . والكتب معدة بشكل يمكن معه تكييفها وفق الحاجات المحلية فى مختلف البلاد . وبازدياد تطبيق تلك الطريقة العملى سيستمر التحسن والتقدم فى منهجها .

لقد خطا علم تدريس اللغات خطوات واسعة فى السنين الاخيرة لكن ليس هناك شك فى ان مجال العمل لا يزال متسعا قبل الوصول الى شئ يقرب من الكمال فى هذا الباب . و«الادب والفن» يسرها ان تتلقى من قرائها انباء اى تجارب فى تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بالضاد

تكون قد اجريت وفق النظريات الحديثة فى تدريس اللغات . كما يسرنا ان نقدم صفحاتها للمناقشة فى هذا الموضوع الهام الشائق .

صفحة نموذجية أخذت من كتاب المطالعة الرقم الأول .

Specimen Lesson in READING BOOK ONE

(*Reading Book Lessons and Language Book Lessons are complementary*)

The Lessons in **Reading Books I and II** are generally divided into four parts: (i) sentences to be read aloud; (ii) commands for listening drill and training in silent reading; (iii) questions for direct method and composition work; (iv) written work gradually introducing common constructions.

Lesson Twenty-three

A SCHOOLBOY



I am a schoolboy.
My name is ——.
I have a book.
This is my book.
It belongs to me.
It is mine.

Questions

1. Is this fountain pen yours? Yes, it is mine.
2. Are these books yours? Yes, they are mine.
3. Is that your desk? No, it is not mine.
4. Are those your books? No, they are not mine.

Commands

1. Point to your desk.
2. Point to my table.
3. Draw a brown square.
4. Draw a purple circle.
5. Bring me something purple.
6. Show me some paper.
7. Write your name slowly.
8. Write mine carefully.
9. Show me my pen.
10. Show me yours.

Writing

Yes, it is mine.

No, they are not mine.

26

SPECIMEN PAGE

PROCEDURE

The Ten Steps

1. Teach the commands orally, first with open books, then with closed books. Let the pupils perform the actions.
2. Give the number of a command; make the pupil read it silently and perform the command.
3. Teach the questions orally, first with open books, then with closed books. Train the pupils carefully to give the correct answers.
4. Give the number of a question; make the pupil read it silently, and answer orally.
5. Make the pupils read silently the sentences at the head of the lesson. Explain the meaning of all new words, in English if possible.
6. Read these sentences aloud several times, making clear the pronunciation of difficult sounds, the grouping of words, and the stressing of important syllables.
7. Each pupil reads aloud the sentences at the head of the lesson. When the lesson is quite well learned, chorus reading may be used.
8. Give the pupils a lesson in penmanship, using the *Writing* section as a model.
9. Ask questions to which the words in the *Writing* section are correct answers.
10. Give the number of a question; get the pupil to read it silently, and write his answer on the blackboard; or make all pupils write the answer on sheets of paper, to be given to the teacher for correction.

The teacher may emphasize listening and speaking or silent reading and writing as he chooses. The ten steps provide a balanced and comprehensive Lesson plan for teaching systematically the most useful English words and constructions.

[5]

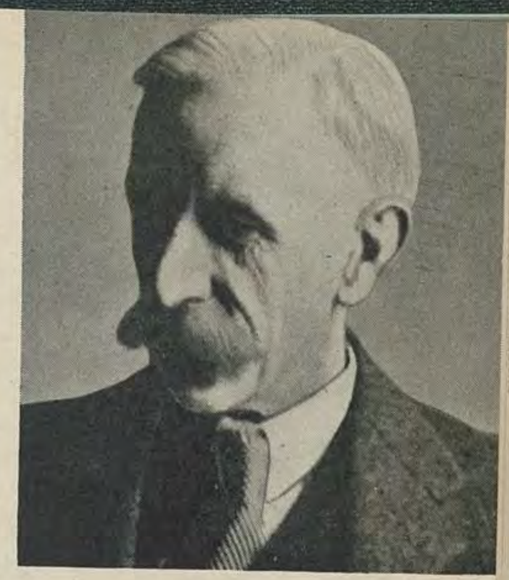
السير ف. جولاند هوبكنز

بقلم الدكتور ن. و. بيرى
بمحطة روذامستد الاختبارية

فى خلال الفترة بين سنتى ١٩١٤ و ١٩١٨ اشتغل السير فردريك جولاند هوبكنز لمدة وجيزة بالأبحاث المتعلقة بالغذاء فى وقت الحرب وكان له فى هذا البحث هدف مباشر وذو فائدة عملية أما فيما سوى هذا فانه فى خلال حياته الطويلة النشيطة كان يختار موضوعات البحث لما لها من أهمية فى حد ذاتها وليس لما لها من تطبيقات جلية الفائدة . وإن الشخص الذى يعرف مقدار اهتمام هوبكنز وشغفه وما له من نظر عميق فى الشئون البيولوجية لن يدهش إذا رأى كيف أن البحث ذا القيمة العملية فى الحرب الحاضرة يقوم إلى حد عظيم على أبحاثه العلمية السابقة . ولما كانت النتائج المفيدة قد تنجم فى خلال سنوات قليلة من عمل رجال العلم الذين هم فى عظمة هوبكنز وقدره فقد اتخذ البعض فى بريطانيا تلك الحقيقة حجة ينددون بها ضرورة تنظيم البحث فهم يعتقدون أن أعمال جمهرة العلماء الذين هم أقل قدرا سرعان ما تستغل أيضا وأنه لو نظمت أبحاثهم فى نظام عام فان ذلك يؤدى إلى إلغائها والقضاء عليها . ولكن احتجاجهم هذا غير منطقى ولعل من الأصح أن نقول إنه لو أن هوبكنز وأمثاله كانوا مسئولين عن تنظيم الأبحاث فى هذه البلاد لكان من الراجح أن ينتج قدر أكثر من العمل المفيد كذلك الذى أنتجه هو .

ومع أن هوبكنز حائز على شهادة طبية فان دراسته الأولى كانت فى الكيمياء التحليلية ولا تزال فائدة هذه الدراسة بادية فى حركاته السريعة المضبوطة فى المعمل وفى مهارته فى الحصول على نتائج مرضية بدون استخدام كمية ضخمة من المواد الأولية . فكل عمله يؤدى بدقة تحليلية كبيرة وبدون أن يصرف فى غير طائل . وكثيرا ما ينسى الناسى فى هذه الأيام أن الفضل راجع إليه فى ايجاد الطريقة المرضية الأولى لتقدير الحامض

البولى . أضف إلى ذلك أنه كان له يد كبرى فى تصحيح أفكارنا العامة عن علم الكيمياء الحيوية ففى آخر القرن الماضى أخذ هذا العلم يحدد فى وضوح بأنه دراسة العمليات والطرق وليس فقط دراسة النتائج الأخيرة لهذه العمليات . وقد قام هوبكنز بتشجيع هذا الاتجاه الديناميكى وعبر بمهارة عن وجهة نظره فى خطبة عنوانها (الجانب الديناميكى من علم الكيمياء الحيوية) ألقاها حين ترأس الجمعية



الأستاذ ف . ج . هوبكنز .

البريطانية لنشر العلم وتقدمه فى سنة ١٩١٣ . فاليه يرجع أغلب الفضل فى أن قليلا من العلماء فى بريطانيا فى الوقت الحاضر يؤمنون بما آمن به الكثيرون إذذاك أعنى أن علم الكيمياء الحيوية مقصور على الدراسة الكيميائة لتلك المواد التى تنتج فى الحيوان أو النبات . فهذا المزج بين المهارة العملية الدقيقة وبعد النظر الفلسفى والفهم الثاقب هو شىء فذ وهو يشرح لنا ما لهوبكنز من تأثير على زملائه وعلى تطور العلم . وهو فى رسائله ومحاضراته العلمية يطلعنا على مبلغ إدراكه لما للكيمياء الحيوية من قيمة أساسية فى علوم تركيب الأجسام الحية والتناسل والتطور وقد ولدت قريحته كثيرا من الآراء والأفكار يستطيع الآخرون أن يتتبعوها .

وفى وقتنا هذا قد أصبحت الفيتامينات معروفة بين جميع الناس وصار تحضيرها وتقديرها أمرا ذا أهمية عملية عظيمة إلى حد أنه صار الآن من الصعب أن نفهم لماذا عورضت الفكرة القائلة بان هناك مواد غذائية لا يحتاج منها إلا إلى مقادير بالغة الضآلة . وليست هذه الفكرة جديدة أو مستحدثة ، فان المستكشف الجغرافى كوك حلى بمدالية كوبلى للجمعية الملكية فى لندن سنة ١٧٧٦ لما قام به من الوقاية ضد داء الأسقربوط بواسطة

مستخرجات البقول كما أن ملاحين آخرين كثيرين قد اقتنعوا فى هذا الوقت أو قبله بما لليمون وما شابهه من الفاكهة من فعل ناجع. وما جاء عام ١٨٠٠ حتى صار عصير الليمون يعطى بانتظام إلى رجال البحرية البريطانية ثم استبدل به عصير الليمون الحامض ولكن ما أشرف القرن الماضى على الانتهاء حتى نسى السبب الذى من أجله أعطى هذا العصير. ولم يكن الجميع وقتذاك مقتنعين بأن مرض الأسقربوط يتسبب عن عدم وجود عناصر خاصة فى الغذاء وإن كان هذا محتويا على مركباته الرئيسية كاملة من بروتين ودهن وكربوهيدرات وأسلاح وكلورات. وحوالى عام ١٩٠٠ قد انتشر بين رجال الكيمياء الحيوية اهتمام شديد متزايد بمسألة ما إذا كان ممكنا أن يعيش حيوان نام على غذاء منقى تنقية تامة. ونحن إذا قرأنا أبحاثهم تلك على ضوء علمنا الحالى اتضح لنا أن كثيرين من الباحثين فى ذلك الوقت كانوا قاب قوسين من اكتشاف الفيتامينات وأحقهم بالذكر الكيميائى الروسى لونين. ومن الواضح أيضا أن الفضل يرجع إلى هوبكنز وأبحاثه اكثر مما يرجع الى أبحاث أى شخص آخر فى التسليم الحالى بضرورة الفيتامينات ولهذا سببان جوهريان أولهما أنه كان يدرس نمو الحيوانات الصغيرة وقدم أسطع البراهين على أن الحيوان وإن ظل يعيش مدة من الزمن على غذاء غير كاف فانه لا يقدر أن ينمو فان المرتابين لأسباب ليست الآن واضحة جداً وجدوا البراهين المستمدة من النمو الطبيعى اكثر إقناعا من البراهين المستمدة من الوقاية من الأمراض. والسبب

س. فرنون يفحص فاكهة ليستخرج منها الفيتامينات.

الثانى أن هوبكنز كان قبل ذلك قد قام بعدد كبير من الأبحاث الكيميائية الحيوية الممتازة والفكرة المستحدثة يسهل الايمان بها إذا قدمها شخص عرف قبل ذلك جدارة عمله وصدق حكمه .

وسرعان ما أثمرت الأبحاث عن الفيتامينات وأنتجت النتائج المفيدة. وكان هوبكنز عضواً فى كثير من اللجان المختصة بالتغذية فى بريطانيا خلال الحرب الماضية وعمل هذه اللجان حقيق أن يستدر منا الاعجاب والرضى . ففى خلال المراحل الأخيرة من تلك الحرب كانت الأمراض المتسببة عن نقص التغذية أقل انتشارا فى هذه البلاد منها فى ألمانيا أو النمسا وهذا يرجع إلى حد كبير إلى تنظيمنا الأكثر مهارة . وبعد أن توقف القتال فى غربى أوربا ساعدت المعرفة التى اكتسبت عن الفيتامينات مساعدة كبيرة فى تخفيف المجاعة فى وسط أوربا فانه فى ظروف المجاعة من الهام أن يحسن استعمال الكمية المحدودة التى يمكن نقلها . فالأغذية التى ليست إلا مصدراً للمجهود الجسمانى ينبغى ألا تستورد إذا وجدت الأغذية التى تحتوى على الفيتامينات أيضا . هذا وليس بنا حاجة إلى أن نطيل الكلام على أهمية الفيتامينات فى الحرب الحالية فكل أمة تبذل اهتماما عظيما فى إنتاج الأغذية الغنية بفيتاميناتها وفى تركيب الفيتامينات وفى المحافظة عليها فى اثناء خزن الغذاء أو طبخه .

ومن المعروف أن الحيوان يحصل على المجهود الضرورى لعمله بواسطة أكسدة أغلب غذائه بالأكسجين الموجود فى الهواء . وقد ظللنا إلى وقت متأخر وليس لدينا إلا أبسط الأفكار عن الكيفية التى تتم بها هذه الأكسدة . وكان هناك تخمين كثير كما وضعت فروض كثيرة خلابة ولكن ما كان لدينا إلا عدد ضئيل من الحقائق . وفى سنة ١٩٢١ قام هوبكنز بوصف الجلوتاثيون لأول مرة فأدى ذلك فى الحال إلى جلاء أفكارنا عن الكيفية الآلية التى تعمل بها الخلية . وتلك مادة بسيطة للغاية وقد أنتجت حديثاً بطرق صناعية، ولكنها تختلف عن المواد الأخرى البسيطة القابلة للتبلور والتى فصلت فى ذلك الوقت عن الأنسجة فى أنها تتحد مع

الأكسجين الهوائى بسرعة وتحت ظروف مماثلة للظروف فى الخلية وهذا الاكتشاف لتلك المادة البسيطة الميسور إدراكها لبساطتها والتى توجد فى كل أنواع الخلايا الحية تقريبا — هذا الاكتشاف شجع على تقدم أبحاث الكيمياء الحيوية تشجيعا عظيما. لأنه أصبح الآن لدى الباحث شىء معين يبحثه بدلا من التخيلات المبهمة التى كان يمارسها من قبل . وسرعان ما اكتشف هوبكنز أن أكسدة الجلوتاثيون تتوقف على وجود آثار لمعادن مثل النحاس والحديد وأن الجلوتاثيون المؤكسد يستطاع بواسطته أكسدة المواد التى لا يمكن أكسدتها بالأكسيجين وحده . وقد وسعت هذه الملاحظات وعلى هذا الأساس بنيت طرق معقدة من التفاعل تبين إلى حد عظيم فعل الخلية تجاه المواد السامة أو التغيرات فى حمضية الوسط أو قلويته . وإن لدينا الآن قدرا عظيما من العلم بما يستطيع الجلوتاثيون أن يفعل ونحن نعرف أنه موجود فى كل خلية نشيطة العمل لكننا لا نزال وليس لدينا إلا معلومات ضئيلة جدا عما يقوم به فى الخلية من عمل . وقد يبدو هذا لأول نظرة نتيجة قليلة الفائدة، ولكن الأبحاث التى عملت عن الجلوتاثيون قد أمدتنا بأساس متينة يمكن أن يبنى عليها دراسة دقيقة للعمليات الآلية للخلية . وقد نجح الباحثون بعد ذلك باستخدام هذه الأساس فى أبحاث أدت إلى فهم جزئى للعمليات الآلية التى تؤثر بها بعض الفيتامينات على الصحة العامة للجسم والتى تساعد بها بعض العقاقير على شفاء الجسم من العدوى البكتيرية . وهذا الفهم أساسية لا بد منها لتقدم علم الصيدلة تقدما صحيحا كما أنه يساعدنا على تجنب التجارب المسرفة العقيمة التى لا مندوحة عنها حين يكون بحثنا اختباريا محضا .

وإن ما لهوبكنز من منزلة ممتازة فى علم الكيمياء الحيوية فى العالم لا يتوقف على اكتشاف واحد معين كما أنه لا يتوقف على إنتاج واسع المدى من الرسائل العلمية فما أكثر العلماء الذين نشروا حين بلوغهم سن الخامسة والثلاثين أكثر مما نشر هوبكنز حين بلغ الحادية والثمانين . بل ان منزلته

الفذة تتوقف على جودة أبحاثه جودة لا تذبذب فيها وعلى عبقريته فى اقتحام ميدان تندر فيه الحقائق وتكثر الثرثرة والفروض المزوقة ثم عودته من هذا الميدان بتفسير جلى لمادة بسيطة يمكن تشخيصها تشخيصا كيميائيا . ولا يسمح الفراغ هنا باعطاء قائمة كاملة لكل الموضوعات التى درسها ولكن ينبغى لنا بالاضافة إلى ما سبق ذكره من موضوعات أن نشير إلى دراسته لتنقية البروتينات وتشخيصها ولفصل الوحدات التى تبنى منها البروتينات وللعمليات الكيميائية التى يجرى عليها الانقباض العضلى . وكل من هذه الدراسات قد ساعد على وضع الأسس لكثير من البحث الحديث وإن الفضل فى التحضير الصناعى للانسولين والأنتيتوكسين المنقى وأمثالهما من المواد يرجع فى حد كبير إلى المبادىء التى شيدها فى أبحاثه الأولى عن البروتينات . وأحدث رسالة له نشرها تبحث فى العناصر الملونة فى أجنحة بعض أنواع الفراش، وهو فى هذا البحث يعود بنفسه إلى موضوع اهتم به قديما إذ أنه فى أول رسالة علمية له وهو تلك التى نشرت فى سنة ١٨٨٩ قد بين أن هذه العناصر الملونة شديدة الارتباط بالحامض البولى الذى هو النتاج الأخير لعملية الدثور والتجدد الأزوتى فى الفراشة . وهذا الحكم ذو أهمية عظيمة وشأن علمى كمثال على الاستخدام الاقتصادى لفضلات الانتاج فى لوازم التزيين والوقاية، ولكن ربما يبدو أن اهميته علمية محضة وليست عملية، مع انه قد تبين حديثا أن هذه العناصر أو عناصر شديدة الشبه بها موجودة أيضا فى معظم خلايا الانسان والحيوانات اللبونة . ومن المرجح أن لها شأنا هاما ليس فقط فى التكوين الطبيعى للمادة الملونة للدم فى الانسان والحيوان بل أيضا فى شفاء مرض فقر الدم .

وما حدث أبدا أن هوبكنز آمن بأية طريقة فلسفية وسلم بها وهو بذلك يحذو حذو قادة العلم البريطانيين فى تفضيلهم للتجربة والاختبار. ولكنه قد كافح أشد مكافحة أى ميل إلى التفسير التصوفى أو اللاهوتى فى علم الكيمياء الحيوية وما كان أمر انتقاده لأولئك الذين حاولوا أن

يفسروا الظواهر بعبارات مبهمة مثل (البروتوبلازما السريعة التهيج) أو (التحقيق الفعلى للقوة). إلا أن وجهة النظر التى يمثلها هوبكنز يمكن بسهولة تطبيقها على طريقة رجال المنطق المادى برغم أنه لم يستفد استفادة محسوسة من الذين بنوا هذا المذهب. وهذا فى الحق أمر طبيعى إذا تذكرنا أن هؤلاء بما لهم من عبقرية لا توجد عادة فى بناة المذاهب الفلسفية قد بنوا مذهبهم بطريقة تجعله يشمل التفكير العلمى والعمل العلمى لعظام العلماء فى أى حقبة من الزمان.



لونين المهندس السوفيتى الكبير.

وإن هوبكنز يتمتع بتلك الفضيلة العلمية النادرة الوجود نعنى ستطاعته أن يتجنب استثارة روح الخصومة فى صدور من يخالفهم، فهو لذلك قادر على أن يجادلهم بالتى هى أحسن حتى يقنعهم بوجهة نظره. وهذه القدرة كانت بالغة القيمة فى اللجنات الرسمية العلمية التى كثيرا ما انتمى إليها. وهو سيبلغ عامه الثالث والثمانين فى اليوم العشرين من يونيو ولكنه لا يزال مليئا بالنشاط والعنفوان ويقضى وقته عادة مشتغلا فى معمله فى كمبردج. وهو فى هذه الحرب لا يلجأ إلى مساعدته الشخصية إلا قليلا، ولكن قل بين رجال الكيمياء الحيوية فى هذه البلاد من ليس مدينا لتعاليمه ومثاله وقدوته.

إليك نخبة مختارة من الأسطوانات العربية التى قام بتلئها كبار الفنانين خصيصا لأجل (صوت سيده).
اسأل الباعة الذين تعاملهم أن يدعوك تستمع إليها.

مانيش باحبك باحب نفسي ١	محمد افندي عبد الوهاب	42-4
ملا الكاسات ١	محمد افندي عبد الوهاب	42-11
تعالي نفن نفسينا ١	محمد افندي عبد الوهاب	42-13
سيد القمر في سماه ١	محمد افندي عبد الوهاب	42-15
اذان الفجر ١	الشيخ محمد كرم	67-3
قصدت باب الرجا ١	الشيخ محمد كرم	67-1
ايالي (مزمار) ١	المعلم سليمان حسن	88-5
الاذان الشرعي ١	الشيخ مصطفى النارودي	F.X. 7
ما احلى عتاب اثنين ١	الانسه سهام	F.X. 68
يا امرت الفؤاد (موال) ١	اميرة الطرب نادره	F.X. 88
القلب كان ماله ومالك ١	اميرة الطرب نادره	F.X. 87
سقيت بدمعي ١	اميرة الطرب نادره	F.X. 100
ان جيت للحق ١	الانستين نينه وماري	F.X. 111
تحميله بياتي ١	مصطفى رضا بك	F.X. 138
ان حالي في هواها عجب ١	الانسه ام كلثوم	F.X. 160
قلبك غدر بي ١	الانسه ام كلثوم	F.X. 166
تشوف اموري ١	الانسه ام كلثوم	F.X. 175
بعدت عنك بخاطري ١	الانسه ام كلثوم	F.X. 176
حسن طبع اللي فتني ١	الانسه ام كلثوم	F.Y. 12
كنت خالي ١	الانسه ام كلثوم	F.Y. 15

"HIS MASTER'S VOICE"



CADBURY



تصنع شيكولاتة كادبورى فى بورنفيل

المصنع المشيد فى البستان

الذى هو أكبر مصنع للكاكاو والشيكولاتة فى العالم

CADBURY, BOURNVILLE, ENGLAND



ڤيكرز ليمتد
وشركاتها المتحدة
٧
ڤيكرز آرمسترونج ليمتد
شركة الصلب الانجليزى التعاونية ليمتد
شركة متروپوليتن - كامل
كاريج و واجون ليمتد
الخ - الخ
شركة ڤيكرز آرمسترونجس ليمتد
مهندسين لبناء البواخر والطيارات
السفينة البريطانية « ڤكتوريس » (المنتصرة)
قام ببنائها
ڤيكرز آرمسترونجس ليمتد
HEAD OFFICE: VICKERS HOUSE BROADWAY LONDON